

أدب ونقد

مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية

نوفمبر ٢٠٠٧ - العدد ٢٦٧

المحافظون الجدد: منظرون لخراب العالم

تسعون عاما على
الثورة الاشتراكية
الروسية

أحمد شوقي:
تقليدي
أم مجدد

شوقي جلال
يكتب تجربته
في الحياة

لماذا يتكلم
النشطاء
بالعامية؟

الموروث الشعبي الفلسطيني

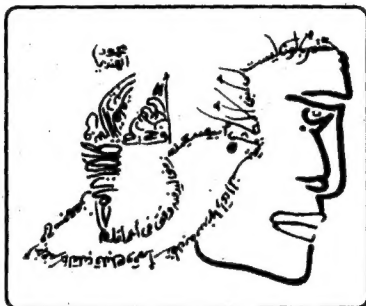
أدب ونقد

مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية

شهرية يصدرها حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي

تأسست عام ١٩٨٤ / السنة الثالثة والعشرون

العدد ٢٦٧ نوفمبر ٢٠٠٧



رئيس مجلس الإدارة: د. رفعت السعيد
رئيس التحرير: حلمي سالم
مدير التحرير: عيد عبد الحليم

مجلس التحرير: د. صلاح السروى/
طلعت الشايب/ د. على مبروك/
غادة نبيل/ ماجد يوسف/
د. شيرين أبو النجا

أدب ونقد

مستشار التحرير: فريدة النقاش

المشرف الفني: أحمد السجيني

إخراج فنى: عزة عز الدين

مراجعة لغوية: أبو السعود على

الرسوم الداخلية للفنان : محمود الهندى

لوحة الغلاف الأمامى الفنانة الصغيرة : إيزيس حسانين

الغلاف الخلفى للفنانين الصغار : محمد حسام وأوزوريس حسانين

وليلى خالد حريب وإسراء أشرف ومريم عبد الستار حتيتة .. من أعمال

ورشة الأطفال الإبداعية التى أقيمت بحزب التجمع

الاشتراكات لمدة عام

باسم الأهالى/ مجلة (أدب ونقد): داخل مصر ٧٥ جنيها

البلاد العربية ٧٥ دولارا/ أوروبا وأمريكا ١٠٠ دولارا

يمكن إرسال الأعمال على العنوان البريدى أو البريد الإلكتروني:

Editor @ al - ahaly . com

المراسلات: مجلة (أدب ونقد) ١ شارع كريم الدولة/ ميدان طلعت حرب

القاهرة/ هاتف ٢٥٧٩١٦٢٨/٢٩ فاكس ٢٥٧٨٤٨٦٧

المحتويات

- مفتتح (١): أحمد شوقي: تقليدي أم مجدد؟ حلمي سالم ٥
- مفتتح (٢) حياتي بقلمى شوقي جلال ١١
- ملف: تسعون عاماً على الثورة الروسية ٢١
- عن البيان الشيوعي... بيان لمن وعن من ؟ د. رفعت السعيد ٢٢
- فلاديمير إيلتش لينين: الفكر والنضال محمود أمين العالم ٣٧
- لماذا يكتب نشطاء الحركة الوطنية باللهجة العامية. د. محمد الشفيع عيسى ٤٨
- الديوان الصغير:
- المحافظون الجدد .. منظرون لخراب العالم على عبد العال ٥٣
- الموروث الشعبي الفلسطيني بين الأصالة والمعاصرة / دراسة/ حاتم عبد الهادي السيد ٨٢
- بلاغ ضد أم نقد ثقافي لإميل حبيبي / كتاب/ خالد زكي ٩١
- بين العقاد وأمين الخولي / ذاكرة الكتابة/ د. ماهر شفيق فريد ١٠٠
- ألعاب الأدباء / بورتريه إبراهيم عبد المجيد، فريد أبو سعدة ١٠٦
- الشمس وحدها تقدر أن تقلد شمساً مثلها / قراءة في كتابة/ فاطمة ناعوت ١١٢
- السيطرة الصامتة / كتاب/ هشام قاسم ١١٦
- وهج الدلالات في ديوان ظل العائلة / نقد/ إيهاب خليفة ١٢٢
- أمي / قصة/ على كرار ١٢٥
- قصتان طارق المهدي ١٢٨
- ثلاث مرايا لامرأة واحدة / قصة/ السيد السعداوي ١٣٢
- صاحبي القديم / شعر/ عبده المصري ١٣٤
- منتدى الأصدقاء
- (سالم عارف / هاني ياسين/ نهلة عزت/ محمد نبيل/ أحمد القشيري) ١٣٨
- مروج الذهب / كل من في حماك / ابن الفارض ١٤٤



٧٥ عاماً على رحيل «أمير الشعراء»

أحمد شوقي: تقليدي أم مجدد؟

حلمى سالم

تحتفل الأوساط الأدبية المصرية والعربية، هذه الأيام، بمرور خمسة وسبعين عاماً على رحيل أحمد شوقي (أمير الشعراء، كما لقّب) وكان رحل عام ١٩٣٢. والواقع أن تقييم شوقي في حياتنا الثقافية تم عبر منظورين مختلفين: أحدهما: منظور سالب، وثانيهما: منظور موجب.

المنظور السالب يرى أن شوقي كان ربيب القصر، وأنه «ولد وفي فمه معلقة من ذهب، وأنه شاعر الجموع، لا شاعر الفرد، شاعر الخارج لا شاعر الداخل، شاعر الموضوع لا شاعر الذات» ولذلك هو شاعر تقليدي يعيد ترجيع أصداء الشعر العربي القديم، ولم يصنع سوى محاكاة القصيدة العربية في عصورها الزاهرة الغابرة. كما أن الجميع لم ينس له موقفه السلبي من ثورة عرابي (١٨٨١) وهو الموقف الذي جعله يستقبل عرابي عند عودته من المنفى بقصيدته سيئة السمعة التي يقول مطلعها: «صغار في الذهاب وفي الإياب / أهذا كل شأنك يا عرابي؟».

أما المنظور الموجب (الذي أميل إلى النظر من خلاله من دون تجاهل المنظور السالب) فيمكن تلخيصه في النقاط الموجزة التالية:

١- كان الشعر العربي في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين في حاجة ماسة إلى نوع من الإحياء أو البعث، ينتشله من هبوط مرحلة الانحطاط التي غرق

فيها طوال القرون السابقة. وقد نهض شعراء هذا البعث والإحياء بمهمتهم خير قيام، بدءاً من محمود سامي البارودي، ومروراً بأحمد شوقي وجميل صدقي الزهاوي وإسماعيل صبري ومعروف الرصافي وحافظ إبراهيم وخليل مردم وخليل مطران وغيرهم.

أعاد هذا الرهط من شعراء الإحياء والبعث إلى القصيدة العربية ديباجتها المكيمة ومتانتها الكلاسيكية التي كانت فقدتها طوال فترات الركاسة والضعف (وإن كانت مسألة ركاسة الأدب في عصور الانحطاط تحتاج إلى إعادة نظر جذرية). وعندى أن ذلك الإحياء كان مرحلة ضرورية باعتباره، قنطرة، تاريخية يعبر عليها الشعر إلى التجديد والتطور والتقدم. وهو ما حدث بالفعل في أواخر العشرينات وبداية الثلاثينات، حينما اندلعت في الحياة الشعرية العربية ثلاث مدارس رومانتيكية كبرى انتقلت بالشعر نقالات جلية معروفة، وهي: مدرسة الديوان، ومدرسة المهجر، ومدرسة أبولو، (التي رأسها شوقي نفسه في السنة الأولى من قيامها رئاسة شرفية) وواضح أن هذه الأرضية التقليدية التي جهزها هؤلاء الأحيائيون كانت لازمة من أجل أن تنشأ عليها (بها وضدها) التحولات التجديدية اللاحقة.

قد يقول قائل إن الشعر العربي لم يكن محتاجاً لهذه القنطرة، وكان عليه أن يقفز من مرحلة الانحطاط (العثمانية المملوكية) إلى مرحلة التجديد الرومانتيكية مباشرة، على طريقة حرق المراحل، وربما كان ذلك صحيحاً من الناحية النظرية، لكنه لم يحدث لسببين: الأول هو أن ثقل وطأة الشعر العربي القديم وترسخه في بنية (وذهنية) الثقافة العربية لا يتيح نجاح نظرية حرق المراحل، أو القفزات الجذرية الواسعة، وإنما يتيح - فحسب - التدرج المتمهل في التطور وفي تسلسل الخطوات، والثاني هو أن بعض الانحرافات، عن المتن التقليدي الراسخ كانت واقعة بالفعل، لكنها لم تكن ظاهرة في بؤرة المشهد الشعري الرئيسي، وأقصد محاولات التمرد الشعري التي مارسها خليل شيبوب ومحمد فريد أبو حديد وجبران ونعيمة وياكثير ودومط وغيرهم. على أن هذه الانحرافات ظلت هامشاً، للمتن الرئيسي للقصيدة العربية التقليدية التي تطورت إلى القصيدة الرومانتيكية العمودية (مع تعديلات طفيفة أجرتها المدارس الثلاث المذكورة).

٢- صحيح أن شوقي اتخذ موقفاً سلبياً من ثورة عرابي، لكن ذلك مردود عليه ثلاثة ردود:

الأول: أن الموقف من ثورة عرابي لم يكن المعيار الوحيد للوطنية أو عدمها، فقد اختلف في تقييم ثورة عرابي وطنيون كبار عديدون، منطلقين من أن هذه الثورة لم تحسب بدقة النتائج الفادحة، وهى النتائج التى جرت على مصر الاحتلال الإنكليزى (١٨٨٢). وتكرر هذا اللبس مع تأميم عبدالناصر لقناة السويس، التأميم الذى فتح عنه العدوان الثلاثى على مصر (١٩٥٦)، ومع أسر حزب الله جنوداً إسرائيليين إسرائيل نتج عنه عدوان اسرائيلي وتدمير لبنان (٢٠٠٦) .

الثانى: إن سيرة شوقى (على رغم موقفه من عرابي) لم تخلُ من بعض المواقف الوطنية مثل قصيدته عن دنشواى (١٩٠٦) ومثل تعاطفه مع الخديوى عباس حلمى الثانى (الذى شكل آنذاك بريق أمل لقطاعات من الحركة الوطنية المصرية، بسبب تأييده تركيا ضد الانكليز فى الحرب العالمية الثانية (١٩١٤ - ١٩١٨). وكان من نتيجة هذا التعاطف أن أبعد شوقى إلى اسبانيا منفياً، حيث قال قصيدته الشهيرة التى يعارض فيها سينية البحترى هاتفاً: «اختلاف النهار والليل ينسى / اذكروا لى العسبا وأيام أنسى، وهى التى تحتوى على البيت الذى صار شعاراً من شعارات محبة الوطن: «وطنى لو شغلت فى الخلد عنه / نازعتنى إليه فى الخلد نفسى».

الثالث: أن احياء الشعور القومى، كان واحداً من إنجازات شوقى السياسية فى شعره، إذ تعامل مع الوطن العربى كوحدة سياسية واحدة، فى مرحلة حرجة كان فيها العالم العربى يخضع لاحتلالات ثلاثة كبيرة: الإنكليزى والفرنسى والإيطالى، ومثالنا الشهير على ذلك قصيدته عن «دمشق، التى يقول فيها:

«سلام من صبا بردى أرقُ / ودمع لا يكفكف يا دمشقُ

ومعذرة اليراعة والقواصى / جلال الرزء عن وصف يدقُ».

وهى القصيدة التى احتوت على البيت الذى صار- كذلك - شعاراً من شعارات التحرر والاستقلال والتمرد: «وللحرية الحمراء باب/ بكل يد مضرجة يدقُ».



٣- إن شعر شوقي لم يكن كله شعر «خارج» لا شعر «داخل» ولم يكن كله شعر «موضوع» لا شعر «ذات». فقد أنشأ شوقي العديد من القصائد الذاتية والعاطفية شديدة العذوية والليونة والرواء..

٤- لا يمكن أن ننكر مساهمة شوقي الريادية التحديثية المتمثلة في مسرحياته الشعرية. كتب شوقي عدداً من المسرحيات الشعرية منها: على بك الكبير، مصرع كيلوباترا، مجنون ليلى، قهبيز، عنتره، أميرة الأندلس، الست هدى، وهى مسرحيات يلاحظ على غالبيتها بعثاً الحس القومى التاريخى التراثى، الذى أضل أن الجماعة المصرية (والعربية) كانت فى حاجة الى بعثه فى مواجهة الاستعمار الإنكليزى والفرنسى والإيطالى، وحتى فى مواجهة السيادة التركية.

وصحيح أن هذه المسرحيات كانت ذات نزوع تقليدى ولا يعدها نقاد عديدون أكثر من قصائد شعرية مستقلة متفرقة تلقى على خشبة المسرح، لا يربطها درامياً سوى خيط مسرحى طفيف، لكن الصحيح، كذلك، أن إدخال هذا الفن المسرحى الى ثقافتنا العربية كان اجتراراً تجديدياً مرموقاً، تابعه عديدون طوروا ملامح هذا الفن الجديد «المسرح الشعبى» مثل صلاح عبدالصبور ومعين بسيسو وعبد الرحمن الشرقاوى ونجيب سرور وممدوح عدوان وسميح القاسم وغيرهم من شعراء المسرح.

كان شوقي - إذن - ضرورة، من أكثر من زاوية. فمن زاوية أولى: كان ضرورة لكى يعود المعمار المتين للشعر العربى القديم قبل أن ينحدر فى عصور ما يسمى بالانحطاط، ومن زاوية ثانية: كان ضرورة لكى ينشق الثوار اللاحقون على هذا المعمار المتين المكين. فلا بد من أن يوجد ما تريد أن تهدمه.. ومن زاوية ثالثة: كان ضرورة لكى يلقنه العقاد (ومدرسة الديوان) درساً فى أهمية أن يكون «الشعر من الشعور» وهى أن الشاعر الحق «ليس هو من يصف لك الشئ كأنك تراه بل هو الذى يصف اشر الشئ على نفسه»، وهذا هو جوهر المدرسة الرومانتيكية، ومن زاوية رابعة كان ضرورة لكى يتطور المسرح الشعبى، بعد أن خلقه شوقي بسيطاً بدائياً، إلى أطوار حديثة على أيدي الشعراء المجددين فى العقود التالية، ومن زاوية خامسة: كان ضرورة لكى يتطور مفهوم «الوطن» من المعنى البسيط الذى قدمه شوقي «وطنى لو شغلتنى...» الى معنى أكثر عمقاً قدمه السياب بقوله:

«إنى لا عجب كيف يمكن أن يخون الخائنون/ أيخون إنسان بلاده»/ إن خان معنى أن

حياتى بقلمى

شوقى جلال

تاريخان فى حياتى.. الفارق بين التاريخين.. بين الأمس واليوم هو الفارق بين البداية مع الانتماء وبين الراهن مع الاغتراب... البداية واحد من بين أبناء جيل اغتذى على حب مصر الوطن والتاريخ وأمل المستقبل، وحب العلم ومغامرة المعرفة وقيم النهضة.. حرية الفرد المواطن دون تمييز.. جيل التمرد والتحدى فى استقلال عن السلطة عازفاً عن غواياتها لأنه الأكبر والمصدر.. كل رأى نفسه مصر ولم ير مصر فى حدود ذاته ومصالحه، نهضته تجل لنهضتها.

النشأة فى الامام الشافعى فى القاهرة حيث الحياة والموت فى جوار أو امتداد، تواصل وتكامل.. الحياة والموت حدثان طبيعيان.. الموت يسخر من الحياة، والحياة تنتصر لنفسها أبداً.. ولا معنى لأى منهما دون الآخر.. الوجود مشروع إنسانى ممتد بين الطرفين فى الزمان والمكان.. وترسخ فى نفسى أن الحياة فرصة لإثراء الوجود زماناً وإلى حين.. فرحة بالحياة وغضب من الموت لا رهبة ولا خوفاً.. ولعل هذا هو جنى الوجدان الصوفى الذى غلبنى فى صباى.. ولعل هذا أيضاً السر فى أن حلقت خيالات صباى بعيداً إلى عالم الأفلاك وقراءة علوم الفلك، وكذا إلى الحياة فى دير سانت كاترين الذى كنت أديم النظر إلى صورة له فى البيت..

نشأت فى إحدى الأسر الممتدة التى لا تعرف التعصب الدينى أبى عامل فنى فى سلاح المهمات وصاحب ورشة فى حى الخليفة عرف البيت اليسار ثم شغل العيش فى

مرحلة تالية. وعرف وقت اليسار هواية الاستماع للغناء والموسيقى ومشاهدة رقص الغوازي. ويضم البيت مجلات ثقافية مثل «مجلتي»، وكتباً مثل «الأديان في العالم»، قراتها في فترة تالية وكانت أول إطلالة لي على عالم رحب من الأديان والعقائد المختلفة مثل البوذية والكونفوشية وغيرها وأن الأديان جميعاً سواء.. واعتدت أن أرى أصدقاء أبي من مسلمين ومسيحيين ويهود يجمعهم الود دون أن تتردد صفة التمييز بين أي منهم.

واعتدت التطلع من نافذة أرضية لأحد البيوت وأرى شخصاً جالساً محاطاً بكتب كثيرة.. عرفت من أبي أنه كاتب اسمه المازني، يملك سيارة سوداء لعلها الوحيدة في الأمام تمتلئ كتبه ولم أتمنى سيارته.

التزمت بشعائر العبادات فترة بوجدان صوفى حيث القلب مرعى لغزلان ودير لرهبان.. اتساع الأفق ورحابة الصدر سمة شائعة من سمات مرحلة التنوير. وأعجب لشعور طفولي حين أسجد أثناء الصلاة وتملكني عبارة أرددتها في نفسي مكتومة، «الم تكن هناك شعيرة أخرى تحفظ للانسان كرامته بدلاً من أمرغ وجهي على الأرض».

وكان أبي المسلم الملتزم أول من ذكر لي كلمة التطور واسم داروين. وشرح المعنى بالنظر إلى الدجاج والبط والأوز في البيت.. أعيش السياسة في البيت حديثاً عن مصر والعالم وإن كنت لا أفهم معنى الاشتغال بها.

عرفت الطريق إلى الأخوان المسلمين وأنا في الصف الأول الثانوي حيث الصلاة وتعلم الخطابة والرحلات والحديث عن استقلال مصر... لا بأس من المشاركة في بيئة تضم أصدقاء اللعب.. وانصرفت عنهم وتركتهم يوم أن اشتريت كتاباً بعنوان «الأخوان المسلمون في الميزان»، رآه معي جلال سعد الممثل الأخواني واستعاره ليومين وعدت أطلبه به ولم يرد.. عرفت أنه حجبته عنى أو صادره فانصرفت عنهم فأنا لا أطيق حجراً على حريتي.

ألفت الاتصال بكل الأطياف: الإخوان ولجنة الوفد بالخليفة والشيوعيين والاستماع أحياناً لخطب أحمد حسين... كنت دائم القراءة في كل الاتجاهات القرآن والمهدين القديم والجديد ومجلة الفجر الجديد وكتب مثل لماذا أنا ملحد؟ ولماذا هو ملحد؟ ولماذا أنا مسلم؟ والرد على الدهريين ورسالة التوحيد... وتأثرت بقوة بفكر ومنهج الأفغانى.. واعتدت مع كل فجر أن أقرأ آيات من القرآن وأبياتاً من شعر صوفى أو ترجمات لشعر وأدب هندي. وأحببت كثيراً كتاب السادهانا لطاغور.

وهكذا انعم بمتعة التنوع والهث بحثاً عن المزيد يحدوني الأمل في أن أكتب.. ولم أر تناقضاً في أن أنهل من كأس الحب فأشرب لأروى ظمأ لا يرتوى ويطلب لي سماع أغنيه قالوا أحب القمس سلامة وهو التقى النوع.

وانقطعت المسيرة باعتقالى عامين مع الإخوان ولست منهم عام ١٩٤٨ في معتقل الهايكستب حيث الإخوان والشيوعيون واليهود. وخرجت مع عودة الوفد إلى الحكم وهمى أن أتجاوز الضائقة الاقتصادية التى يعانى منها البيت وأضمن الالتحاق بالجامعة واشتركت في مسابقة ضمنت لى الالتحاق المجانى فضلا عن حصولى على مجموع يكفل لى الالتحاق المجانى عام ١٩٥٢/١٩٥١.

وفي عام ١٩٥٢ انقطعت مسيرة جيلي بأطيافه المختلفة من أجل مصر حين تولى بعض أبناء الجيل المسئولية بالوكالة عن جمهور أبناء مصر. نعم يحملون أحلامها ويؤمنون بالهدف ولكنهم لا يملكون آلية حضارة العصر.. الديمقراطية والمجتمع المدنى.

واستنوا ما سماه أحدهم ديمقراطية التفويض الصامت والتي هى فى جوهرها آلية المستبد العادل بينما العدل والاستبداد لا يجتمعان.. ومن أسف أن توحيد جمهور المثقفين مع السلطة وكان هذا بداية الأخفاق أو إحدى الطرق إلى النكسة. وفقد المثقف قيمة وهضبة وصفه بالمثقف المستنير. والمثقف المستنير ضمان اطراد المسيرة وتصويب الخطأ هو من يحرص على الاحتفاظ بمسافة نقدية بينه وبين السلطة، سياسية أو دينية - لا خصومة معها وإنما ضمانا لفرصة إبداء الراى فى حرية دون الحياز أو غواية.

مارست حياة الفكر الحر فى الجامعة ولا أكف عن القراءة فى كل الاتجاهات.. قرأت عن البوذية وبوذا واستهوتنى النيرفانا والتوحد مع الكون.. وقرأت عن كونفوشيوس واستهوتنى عقلانيته.. ورأيت فى الوضعية المنطقية منهجا لضبط الفكر مثلما رأيت فى نظرية التطور منهجا فى التفكير.. ورأيت فى الماركسية من خلال قراءتى الشخصية، إطاراً لتفسير ظواهر حياتنا الاجتماعية وتطورت رؤيتى مع الزمن.. ثم أكن بعد مشاركا تنظيميا مع الشيوعيين.

ولكن الشخصية الثانية التى تأثرت بها هو الفيلسوف الهندى راد هاجر شأن بعد أن قرأت كتابه «ديانات الشرق وفلسفة الغرب»، إذ طالعت عبارة يقدم بها الفصل الأول تقول «إذا تعالينا عن الفوارق الجزئية بين الأديان سترى أنها جميعا واحدة لأن الانسان

واحد، رأيت فيها مفتاحاً لقضايا تؤرقنى عن الإنسان - الأديان - الكون... إلخ وفتح لى هذا الرأى أبواب دور العبادة جميعها على اختلاف عقائدها.. مسيحية ثم بعد ذلك بوذية وكونفوشية وطاوية وهندوسية.

واعتقلت ثانية مع الإخوان عام ١٩٥٤ بضع شهور ثم سنتين فى العامرية ثم سنتين فى السجن الحرى. وكان سجننا مضاعفاً، الإخوان يرفضون مشاركتى الكلام والطعام، والتفتيت داخل الزنزانة بشخص يتصف بالذكاء والصدق والحماس المتدفق والاصرار على النضال.. هذا هو المناضل الراحل صلاحين من كمشيش.. قضينا فترة الاعتقال فى حوار هامس عن الماركسية، وأنا لست شيوعياً والتقينا بعد الخروج من المعتقل وزرت كمشيش التى أشرت فى وجدانى وعرفت من أهلها حقيقة معدن الإنسان المصرى الصلب المتسامح الواعى.. إنه الذهب الخالص توارى أو أخففته العروف والاحداث.

وأقرر بهذه المناسبة كم من مرات استقيت الحكمة من لسان العامة البسطاء وأجبتهم. شخصان من عامة الناس أشرا فى تأثيراً كبيراً وأزاحا عن عيني غمامة الانحياز عند مترفى الثقافة، وأدركت أن بسطاء الناس ليسوا بحاجة لوصاية فهم أصحاب عقل راجح ووعى بقضاياهم الشخصية الأولى عامل بناء يرتدى جلباباً أسود التقية ساعة الغروب وأنا أسير فى طريق شبه خال تماماً أواخر عام ١٩٥٦. اقترب منى يسألنى أن أشعل سيجارته.. حاولت أن أقدم له سيجارة رفض.. تبادلنا الحديث وقال من بين حدث عن علاقته يصاحب العمل وعمله عبارة هى جوهر فكر ماركس عن فائض القيمة.. وتمجبت: أنا اشتري كتباً وأطالع وأظن أننى اهديت إلى الفكر الصحيح بعد جهد كبير ثم إذا بهذا العامل البسيط ينطق بالحكمة موجزة من واقع حياته وحياتنا فى كلمات بسيطة.. ياالعظمة البسطاء.

الشخصية الثانية فلاح أجير من كمشيش هو عبدالحميد عنتر. قال لى يوم أن رفع عبدالناصر سعر الأرز والصابون خمسة مليمات.. ولا مانع عندى بشرط يقولى وعلى الكل، أليست هذه هى الديمقراطية على لسان الفلاح البسيط.

واعتقلت ثانية سنة ١٩٥٩ خمس سنوات مع الشيوعيين فى الفيوم ثم أبى زعل، وهيا لى المعتقل فى الواحات فرصة للمشاهدة على الطبيعة، المشاهدة المكشوفة لما أخفته سرية التنظيمات فى الخارج عشت مع قبائل وعقليات قبلية وصراعات قبلية.. واعتزلت.. وخرجت من المعتقل ١٩٦٤ وبقيت أكثر من عامين بلا عمل على الرغم من



عودة الشيوعيين إلى أعمال بجهود تنظيماتهم.

واعتقلت عام ١٩٦٥ مع الإخوان ثابتة.. وقدمت داخل سجن القلعة مظاهرة بالإخوان أعلنت بعفدها الاضراب عن الطعام الذى استمر ثلاثة أيام ثم أفرجت عن السلطات.

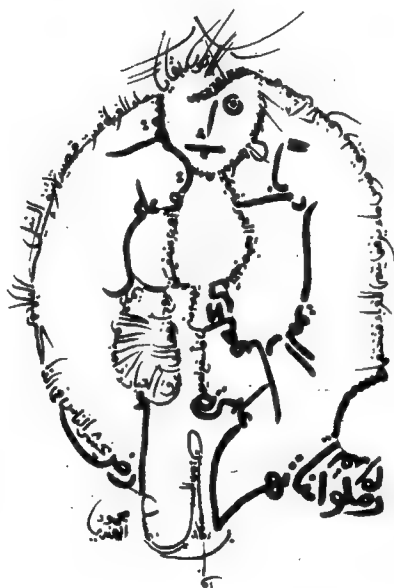
ومع هزيمة ١٩٦٧ المخزية غلبتني مشاعر التحدى والمقاومة مثلاً غلبنى الغضب من النظام والخوف على مصر.. وقررت التطوع والتحق بمعسكر مدرسة الابراهيمية متطوعاً لا للدفاع عن النظام بل عن مصر. ولكن فى ذات اليوم الذى سجلت فيه اسمى متطوعاً استدعيتنى إدارة المباحث العامة وسألنى الضابط المسئول لماذا تطوعت؟ وبعد أن أجبتة قال أنت بالذات لا... تروح بيتكم، ويبلغ الشعور بالغربة ذروته.. انها غربة جيل بأكمله قبض الريح.. وبعد تأمل وأنا ممنوع من الكتابة ومن السفر رأيت أن أوصل الترجمة لاتحدث بلسان غيرى إلى أن يحين وقت التأليف. وحرصت أن يكون جهدى مشروعاً ثقافياً تنويرياً يتكامل مع جهد التنويريين من أجل مضر والانسان.

وحين أعود أتأمل حياتى أذكر أننى تمنيت يوماً على الحزب الشيوعى ما أتمناه اليوم على جميع الأحزاب ان كانت جادة فى السعى لتحمل مسئولية النهوض بمصر. أتمنى أن يكون لكل حزب مركزاً للدراسات السياسية والاستراتيجية يصدره حسب منظوره بالأوضاع والسياسات المحلية والعالمية وأن يشكل ما يمكن تسميته حكومة ظل لديها برنامجها للعمل فى كل المجالات المنوطة بحكومة وكأنه مهياً لتولى السلطة غداً.

هنا يكون الاختلاف بين الأحزاب حول برامج فى شفافية بدلاً من شعارات تداول السلطة. وغيرها من كلمات رنانة جوفاء هى الطريق إلى تداول الكارثة.

وحين أعود بالذاكرة إلى الماضى أذكر أن معارك التحرر الوطنى لم تكن ساحة للمواجهة الثقافية والدراسات الفكرية عن الواقع ولم تكن ساحة لترسيخ ثقافة الديمقراطية والرفض المطلق لحق الاختلاف أو الطاعة ولم تكن ساحة لمراجعة التاريخ والتراث اللذين تخلفنا عن عصور القهر والحكم الأجنبى على مدى أكثر من ألفى عام صاغت سلوك الانسان المصرى ثم من بعدها الاستبداد المحلى وليس الهدف ردة إلى ماضى بل رد اعتبار للذاتية التاريخية للانسان واصلاح ما اسميه حالة اختلال الأنا لدى الانسان المصرى الذى عاش فريسة للقهر والاستبداد وفريسة لثقافة تلزمه وتزين له الصبر على البلاء والهجرة إلى الغيب.

وأعود بالذاكرة وأرى أن الفرض الغائب ابداً فى حياتنا الثقافية والفكرية والسياسية



هو المراجعة النقدية للذات من منطلق اجتماعى فى إطار افق اجتماعى يتعالى على الانحياز الأنانى ... مراجعة لرصيدنا الثقافى ودوره الفاعل إيجابا وسلبا مراجعة للعقل وللعمل والاجتماعيين.. للانسان.. لانحيازاتنا الفكرية المفروضة باسم المقدس أو بفعل الهيمنة.

حياتنا الآن تمضى فى إطراء عشوائى التماسا لمصالح فردية أنانية.. تمضى الحياة وتقع الكوارث دون مراجعة للذات ودون الشك فى رصيدها الثقافى.. وغابت الفعالية المجتمعية وغاب الفكر الابداعى النقدى.. وغابت المعايير أو الأصول، وضاق الأفق.. كل امرئ محصور داخل ذاته، وأصبحت مصر تجمعها سكنيا لا مجتمعا... ولا معنى لثقافة سادت مع جيلنا فى البدايات، التطور والتغيير.. التحدى والارتقاء.. التقدم المسئولية والالتزام والتمرد على الواقع المعيشى تطلعا إلى افق جديد.

وحين أتأمل واقعنا واحتمالات مستقبلنا تصدمنى كلمات عالم الاجتماع والفيلسوف مانويل كاسيلز فى كتابه عصر العولمة، إذ يصف دول ومجتمعات أفريقية.. ولنتأمل الحديث وموقعنا الجغرافى.

يقول توافق صمود الرأسمالية المعلوماتية مع انهيار اقتصاديات إفريقيا وحدوث فوضى سياسية وعنف وانخفاض لمستوى المعيشة ومزيد من الاعتماد على الخارج وانهيار الصادرات وزيادة الواردات إذ نجد مزيداً من الاعتماد على القروض التى تزيد التبعية. ونقد عزوفا عن التصنيع والاكتفاء بالاستيراد مع زيادة فى الواردات الزراعية.. وضعف البحث العلمى..

ويضيف أصبح الوجود رهن المساعدات الخارجية والقروض الأجنبية والمنح. وسداد الديون غير ميسور إلا من خلال إجراءات تبعية مثل شئ حرب بالوكالة أو المشاركة فى حرب مقابل إسقاط بعض الديون. ونضيف بيع الأراضى والبوك للأجانب.. والنتيجة التهميش عالميا واقليميا.. وتتبع الدول سياسات اقتصادية خاطئة تعوق الصادرات والاستثمار لمصالح جماعات مصالح محلية.

ويقول البيروقراطية المحلية الثرية تنعم بمستوى عال جداً ومسرف لاستهلاك واردات باهظة الكلفة من غذاء وأزياء.

- تدفقات رأس المال إلى الحسابات الشخصية فى الخارج تتم فى تشابك مع الاستثمارات الدولية دون إعادتها إلى بلد المنشأ.

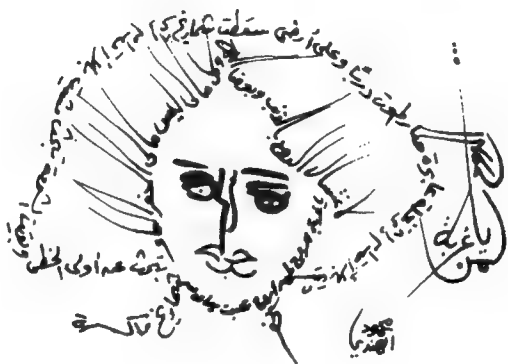


ويقول

وهكذا تنشأ، ما يسميها، دولة النهب والسلب predatory state .. انها ازمة امة تخضع لاستبداد دولة.. عناصر الطبقة الحاكمة اقرب لأن يكونوا مرتزقة حيث نجد سيطرتهم على مناصب السلطة والتميز تخضع لرحمة قرارات نزوية لسلطة مطلقة.. انها سياسة الكروش التي لا تمتلىء The politicay the Belly إذ ان النخبة عاطلون من أى استراتيجية سوء تكديس الثروات نهبا من بلدهم.. وأرى انها غربة قاسية قياسا إلى زمن النشأة.

ويعد

هاهى أحداث القرن العشرين مبسطة أمامنا بكل اصدائها وأخطائها وتفاعلاتها.. وهاهى نذرا وبشائر ألفية جديدة.. هل توخينا، المثقفون والأحزاب، جرأة المراجعة النقدية الصادقة لثقافتنا ومواقفنا وانحيازاتنا لنستكشف حقيقة الأسباب التي قادتنا إلى ما نحن فيه؟ مثل هذه المراجعة النقدية إبداع فكري أصيل. أومن بأن المثقفين بقدر ما هم منارة التنوير والتقدم هم المسئولين أولا وأساساً عما يصيب المجتمع ويعوق مسيرته إذا ما غيبوا الحقيقة وهم يعلمونها.. وبدلاً من أن نسأل لماذا لا يثور المصريون، نسأل لماذا وكيف غيب المثقفون الثورة؟



تسعون عاما على الثورة الروسية

تحل، هذا العام، ذكرى مرور تسعين عاماً على ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى في روسيا (١٩١٧)، التي كانت أول ثورة اشتراكية، قائمة على أساس الفكر الماركسي، في التاريخ. وهي الثورة التي شكلت الاتحاد السوفيتي، الذي ظل القوة العظمى الثانية في العالم، والداعم الأعظم لحركات التحرير الوطنية في العالم الثالث والبلاد العربية، إلى أن أفلحت مؤامرات النظام العالمي الجديد في تفكيك هذا الاتحاد السوفيتي ودول أوروبا الشرقية إلى دول صغيرة متناثرة، ترغب في السير في الطريق الرأسمالي.

وإذ نحتفل بهذه الذكرى، لا نلقى اللوم كله في هذا الطور المؤسف، على مؤامرات النظام العالمي الجديد وحدها. فلاشك أن أسباباً داخلية - في صلب طبيعة هذه النظم الاشتراكية - قد ساهمت بقسط وافر في هذا الانهيار والسقوط.

ربما سقطت النظم، لكن الاشتراكية لم تسقط، لأن الاشتراكية هي حلم شعوب الأرض.

نقدم - في هذا الملف الصغير - رؤيتين لاثنتين من كبار الاشتراكيين المصريين، تحية لمعنى هذه الثورة في حياة البشر، وتحية لفكرة الاشتراكية، التي هي حققة كل المقهورين في عالمنا القاهر.

«أدب ونقد»

عن البيان الشيوعي

بيان لمن.. وعن من؟ (❖)

د. رفعت السعيد

فى تعليق مثير للإعجاب على تبنى الفلاسفة الألمان للأدبيات الاشتراكية الفرنسية أورد «البيان الشيوعي» العبارة التالية البالغة الدلالة.

«دخل الأدب الاشتراكي والشيوعي الفرنسى - الذى يولد تحت ضغط بورجوزية مسيطرة تعبيراً عن النضال ضد هذه السيطرة - إلى ألمانيا فى حقبة كانت فيها البرجوازية قد شرعت أو كادت فى النضال ضد الحكم الإقطاعى المطلق.

التهم الفلاسفة وأشباه الفلاسفة والأدباء الألمان هذا الأدب بشراهة، ونسوا - فقط - إن هجرة هذا الأدب من فرنسا إلى ألمانيا لم تتزامن مع هجرة شروط الحياة الفرنسية إليها. وهكذا فقد هذا الأدب الفرنسى عندما لامس شروط الحياة الألمانية كل مدلول عملى قورى والتخذ مظهراً أدبياً محضاً.

ولابد والحالة تلك أن يبدو كتأمل عقيم للمجتمع الفعلى..

... العمل الفريد الذى أنجزه الأدباء الألمان اقتصر على جعل الأفكار الفرنسية الجديدة متفقة مع وعيهم الفلسفى القديم أو بالأحرى اقتصر على انتحال الأفكار الفرنسية دونما تخل عن أفكارهم الفلسفية الخاصة.

لقد تمثلوا هذه الأفكار كما يتمثل المرء عادة لغة أجنبية بالترجمة إلى لغته الأم،

(ص ٤٥).

هذه العبارة تدعونا وتلح علينا أن نتأملها ونحن نتعامل مع نصوص وأفكار ومعطيات البيان الشيوعي، الذي صدر في أوروبا.. ومنذ قرن ونصف من الزمان.. نتأمل العبارة ونسأل أنفسنا عن مدى تطابق الزمان والمكان...

وعن تفاوتات أخرى عديدة تدعونا إلى التعامل بحذر حذر مع محاولات تقديس النص واضعين في الاعتبار كذلك أن مؤلفي البيان الشيوعي قد كتبوا في عام ١٨٧٢ أي بعد أربعة وعشرين عاماً فقط، أنه في الإمكان إدخال تعديلات تتعلق بالتفاصيل على هذه الفقرة أو تلك من فقراته.

والبيان نفسه يعلن بأن التطبيق العملي خاضع دائماً وفي كل مكان للشروط المعطاة تاريخياً. إذن فنحن لا نعلق البتة أهمية خاصة على التدابير الثورية التي اقترحناها في نهاية الفصل الثاني. ولو كان لنا أن نعيد كتابة هذا المقطع اليوم لكتبناه بشكل مختلف من نواح عدة. لقد شاخ هذا البرنامج اليوم في بعض نقاطه بتأثير التقدم الضخم الذي أنجزته الصناعة الكبرى خلال الخمس والعشرين عاماً الأخيرة، والتقدم الموازي الذي أنجزته الطبقة العاملة من حيث تنظيمها في حزب، وأيضاً بتأثير التجارب العملية لثورة نوفمبر أولاً، ثم التجارب العملية الأكثر أهمية التي تركتها كومونة باريس، (١) وأيضاً نطالع في ذات المقدمة، وإذا كانت الملاحظات المتعلقة بموقف الشيوعيين من مختلف أحزاب المعارضة مازالت إلى اليوم صحيحة من حيث مبادئها، فإنها شاخحت من حيث تطبيقها لأن الوضع السياسي تغير كلياً، (٢).

نراجع ونتأمل العبارات التي وضعنا تحتها خطاً:

● إن التطبيق العملي خاضع دائماً.. وفي كل مكان للشروط المعطاة تاريخياً (ونؤكد ونتأكد من أهمية عنصر الزمان وعنصر المكان عند مراجعة وثيقة كهذه، أو التعامل معها.. أو محاولة إعمال نصوصها).

●● لو كان لنا أن نعيد كتابة هذا المقطع اليوم لكتبناه بشكل مختلف (ولاشك إن الاختلاف سيتضاعف أضعافاً مضاعفة مع توالي السنوات لتصل إلى قرن ونصف ومع اختلاف معطيات المكان).

●●● لقد شاخ هذا البرنامج اليوم في بعض نقاطه (كان ذلك بعد ٢٤ عاماً.. فماذا بعد ١٥٠ عاماً؟)

وعلى أساس من تأملنا لكل ما سبق سنحاول الكتابة عن البيان الشيوعي.

●●●

عن طبيعة الوثيقة

يقول مؤلفا الوثيقة إنها برنامج مفصل، رابطة الشيوعيين جمعية عمال أممية.. وفي المؤتمر المنعقد بلندن في نوفمبر ١٨٤٧ كلفت الموقعين أدناه بكتابة برنامج مفصل للحزب، نظري وعملي، (٣)

فهل جاءت هذه الوثيقة برنامجا مفصلا. نظري وعملي؟
أعتقد لا. على الأقل برؤيتنا الحالية لعنى وأسلوب صياغة، ومضمون، ومحتوى البرنامج، المفصل، والنظري، والعملي.

إننا في واقع الأمر إزاء تحليل، أو تقرير، سياسي يتحدث عن مجتمعات ما قبل الرأسمالية، وعن نشأة الرأسمالية والرأسماليين على انقراض النظام الاقطاعي. وعن موقف الشيوعيين من البروليتاريا، وعن اشتراكية البرجوازية الصغيرة ومختلف الاشتراكيات غير العلمية. وحتى عندما نتحدث الوثيقة عن موضوع التحالفات، فإنها تكتفي بأيراد، وصف، مجرد، وصف، سردي وغير تحليلي لمواقف الشيوعيين في مختلف بلدان أوروبا من قوى المعارضة غير الشيوعية.

ولا برنامج بالمعنى المفهوم لكلمة برنامج عندنا الآن.
فقط هنالك عشرة مطالب مختصرة جداً، وغير موضحة بالشكل الكافي بحيث يمكن التمعن فيما وردت في صفحة ٤٧ .. باعتبارها توجهها عاما.

ذلك إن ماركس وإنجلز اكتشفا - على الأرجح أنه من المستحيل .. ومن غير المنطقي، وغير العلمي صياغة برنامج واحد.. لكل أوروبا.
فكتبنا، ومن البديهي أن تختلف هذه التدابير (التي لا بد منها لقلب نمط الإنتاج كله رأساً على عقب،

أن تختلف تبعاً لاختلاف البلدان، غير أنه في الإمكان تطبيق التدابير التالية تطبيقاً عاماً، جداً، في البلدان الأكثر تقدماً.

ولم يتجاسر مؤلفا البرنامج على تجاوز .. لا الزمان، ولا المكان.
فاعتراها أن هذه التدابير المقترحة .. تبدو من الزاوية الاقتصادية ناقصة، مهزوزة، لكن بإمكانها أن تتجاوز نفسها في مجرى الحركة، (٤).

ونتأمل: رابطة الشيوعيين جمعية عمال أممية، بمعنى أنها تضم عمالاً من بلدان عدة كلفت ماركس وإنجلز بكتابة برنامج مفصل، نظري وعملي..

لكنهما وكأنا على حق تماماً وجدا أنه من المستحيل اختراق حاجز الزمان بإعداد برنامج متكامل ليعالج ظواهر وقضايا لم تنضج بعد نضجاً كافياً، وأنه من المستحيل كذلك اختراق حاجز المكان باقتراح تدابير تسرى على مختلف البلدان. فيقول البيان، إن التطبيق العملي لهذه المبادئ دائماً وفي كل مكان يخضع للشروط المعطاة تاريخياً، ومن هنا فقد اكتفى مؤلفا البيان بتقديم إشارات موجزة جداً مؤكدين على أمرين مهمين:

.. إنها تدابير ناقصة ومهزوزة.. تتجاوز نفسها في مجرى الحركة.

- تختلف .. تبعاً لاختلاف البلدان.

ثم قدمنا نصوصاً أو تدابير في غاية الاختصار من نوع:

- ضرائب باهظة وتصاعدية.

- إلغاء حق الوراثة.

لقد تجاوز ماركس وإنجلز عن وعى وتعمد حد. التكليف ووجدنا نفسيهما عاجزين عن إعداد برنامج مفصل نظري لكل بلدان أوروبا.

وإذا نتأمل عبارة واردة في مقدمة الطبعة الألمانية (١٨٩٠) التي صاغها إنجلز تحت عنوان «تحرر العمال من صنعهم، نقرأ عبارة تفسر لنا كل شيء .. العبارة تقول، ولذا لم يكن في وسع الأهمية أن تنطلق مباشرة من المبادئ المعروضة في البيان. إذ كان عليها أن تتبنى برنامجاً لا يخلق الباب في وجه النقابات الإنجليزية. ولا في وجه البرودونيين الفرنسيين والبلجيكيين والإيطاليين والأسبان، ولا في وجه اللاساليين الألمان. وهذا البرنامج - ديباجة نظام الأهمية الأساسي - صاغه ماركس بمهارة استحققت ثناء باكونين والفوضويين أنفسهم.

هكذا يمكن للأمر أن يتضح أكثر، فالوثيقة ليست موجهة لرابطة الشيوعيين وحدها. وإنما لمجمل القوى والاتجاهات والتوجهات التي تقول أو حتى تزعم أنها تقبل بالاشتراكية.. من الحركة العمالية الإنجليزية حتى الحركة الفوضوية، ومن ثم كانت «العمومية»، والإيجاز، وعدم الدخول في أي تفاصيل متعلقة بالاختلافات الأيديولوجية أو القطرية.. فاكتمل، - وكأنا على حق تماماً - بتحليل سياسي.. وليس ببرنامج.

●● عن الأسلوب:

ولعل من حق القارئ.. الذى تعرف على ماركس وإنجلز فى كتاباتهما الرصينة.. رأس المال، الأيديولوجية الألمانية، أصل العائلة وغيرها أن يتوقف عند هذا الأسلوب الذى صيغ به هذا التحليل أو التقرير السياسى.
هنا نحن إزاء كاتبين سياسيين يستخدمان مفردات غير علمية وربما أيضاً غير لائقة. ونتأمل عبارات مثل:

«ولكى يجتذب هؤلاء الأرستقراطيون الشعب إليهم، لوحوا بخروج المتسولين البروليتاريين لهم، لكن ما أن مشى الشعب وراءهم حتى لح شاربات الاقطاعية العتيقة مرسومة على مؤخراتهم، فتولى عنهم وقهقهة السخرية على شفثيه» (٥).
ومثل: «لقد انتهى هذا الاتجاه الاشتراكية البرجوازية الصغيرة» فى آخر مراحل تطوره إلى ذلك الصداق الحقيقى الذى يعقب نشوة السكر» (٦).

ومثل: «بهذه الطريقة خصوا الأدب الفرنسى الاشتراكى والشيوعى خصياً» (٧) وأيضاً: «هذه الاشتراكية الألمانية التى أخذت تمارينها الشبيهة بتمارين تلميذ غشيم مأخذ الجد والوقار البالغين وروجتها بدجل لا حد له، فقدت شيئاً فشيئاً براءتها الدعوية» (٨).

وكذلك «جميع الكتابات الاشتراكية والشيوعية المزعومة، المتداولة فى ألمانيا تنتمى باستثناء النادر القليل إلى هذا الأدب القذر والمثير للأعصاب» (٩).
لكنه يتعين علينا ونحن نبدي دهشتنا من هذا الأسلوب غير اللائق فى برنامج سياسى أنه تزداد دهشتنا إذ نلاحظ أن أغلب وربما كل هذه الجمل قد تجاوزت مما فى صفحات محدودة من صفحة ٤٩ إلى صفحة ٥٧.

وحشرت نفسها فى موضوع واحد يمتوان «الأدب الاشتراكى والشيوعى»، فهل كانت هذه الصياغات المبالغة فى تجاوزها لحدود الكتابة اللائقة منتسبة لأحد الكاتبين انفراد بصياغة هذه الصفحات المحدودة، بينما فرض الآخر أسلوبه الرصين على بقية الصفحات؟

لكن افتراضاً كهذا يفرض علينا مراجعة متأنية للأسلوب المميز لكلا الكاتبين لنحدد.. أيهما صاحب هذا التراث من الجهل غير الرصينة.. وربما غير المعقولة.

● ● ●



برنامج لن

رابطة الشيوعيين .. جمعية عمال أممية.

اسم كبير جداً.. ووصف أكبر.

لكننا يجب أن نلاحظ أننا نتعامل لا مع الأسماء الضخمة، وإنما مع منظمة بدائية الفكر، وبدائية التكوين وبدائية المحتوى.

فإذا كنا نتحدث عن أوضاع الحركة في ١٨٤٧ فإنه يتعين أن نشير إلى أن كلمة «شيوعي» آنذاك لم تكن تحمل ذات المعنى ولا ذات المحتوى الذي حملته فيما بعد. ذلك أن ماركس وانجلز كانا لم يزالا في طور التكوين.

وكذلك حركتهما، واحتاج الأمر عدداً من السنوات (حتى سبتمبر ١٨٦٨) حتى ينعقد مؤتمر بروكسل ويستطيع ماركس وانجلز أن يفرضا مفهوماً اشتراكياً جقاً. ويستصدرا قراراً «حول الضرورة الاقتصادية لتحويل الأرض والمناجم والسكك الحديدية إلى ملكية جماعية ليناديا بصراحة بالمبادئ الاشتراكية في الأممية (الأولى)» (١٠).

وحتى في هذه المرحلة الأكثر نضجاً كانت الحركة الأممية لم تزال بدائية التكوين، وبدائية المحتوى.

فإذا ما راجعنا ميزانية اتحاد العمال الدولي من أول سبتمبر ١٨٦٦ إلى أبريل ١٨٦٧.

وتأملنا المساهمين فيها نجد:

جمعية الاسطرجية. جمعية صناعات السلال. مجلدو الكتب. صناعات البراميل. صناعات الأحذية في وست إند (١١) ..

إلخ. وهكذا جمعيات وجماعات ليست فقط بدائية التكوين، وإنما أيضاً تضم عمال مهين بدائية تستخدم آلات بدائية وتنتج سلعا بدائية ..

ونكتشف أننا إزاء تكوين بدائي من صناعات مهين بسيطة وبدائية.. ويبدو حجم الكلمات أكبر بكثير من حجم التكوينات المنضوية تحت لوائها ..

ونعرف حجم الأممية الحقيقية في عام ١٨٦٧ إذ تكتشف أن إجمالي أصول ميزانيتها في هذا العام لم يكن سوى ٦٣ جنيهًا، ١٥ شلنًا، ٨ بنسات فقط (١٢).

ويزهو ماركس كثيراً إذ يثبت في محضر اجتماع مجلس الأممية في ٢٥ سبتمبر ١٨٦٦ أنه قد حصل على خمس جنيهات، هي المساهمة السنوية للسيد صامويل مور رجل الصناعة في مانشستر (١٣).

فإذا ما كان هذا هو الحجم الحقيقي والمحتوى الفعلي بعد ازدهار الحركة، ويعد مضي

عشرين عاما على صدور البيان الشيوعى، فإن بإمكاننا أن نقرر أن الحال فى سنة صدور
البيان، كان أكثر تواضعا بكثير سواء من حيث المحتوى الفكرى أو المحتوى العضوى أو
المهنى.

ولاشك أنه من الضرورى ونحن نحاول فحص برنامج، ما أن نفحص طبيعة وحجم
ومقاس التنظيم الذى تزين بهذه الوثيقة، ولاشك أن الوثيقة، تمكس بالضرورة
مقاس، وفكر وحجم هذا التنظيم.

ومن الضرورى أيضا ملاحظة أن هذه الوثيقة كانت تستهدف أيضا إحتواء قوى أخرى
متناقضة فى مواقفها، بل ومتصارعة أيضا فيما بينها كما أوضح انجلز فى مقدمته
لطبعة ١٨٩٠ الألمانية.



عن المحتوى:

١ - الموقف من الدين والأسرة:

.. ويغض النظر عن أوربية المحتوى، فإن عبارات عديدة وردت فى هذه الوثيقة كانت ولم
تزل قادرة على إيذاء كل من يتعلق بأذيالها.

هل هى حماسة الشباب؟

أم هى تلك الانطلاقة فى الكتابة غير المتأنية التى أوردت عبارات مثل تلك التى
أوردناها عند حديثنا عن الأسلوب؟

أم هى تعبير عن أسلوب كان سائدا فى ذلك الحين؟

أيا كانت الأسباب فإننا هنا فى واقعنا الحالى.. فى تمايز المكان.. وبرغم ما مضى من
زمان نجد أن كثيرا من التوجهات التى أوردتها البيان، متسمة بالاندفاع غير المقبول، أو
المستحيل قبوله بالنسبة لنا على الأقل.

ونأمل بعضا من عبارات نختلف معها، ونعتبرها غير صحيحة، بل وغير لائقة وهى
بالقطع غير مفيدة.

عبارات مثل:

- لقد تقوضت شروط حياة المجتمع القديم فى شروط حياة البروليتاريا.. إن
إسترقاق الرأسمال الحديث للعامل.. قد جرد البروليتارى من كل طابع قومى. وما
القوانين والأخلاق والدين فى نظره سوى أوهام برجوازية تتخفى وراءها مصالح

برجوازية كبيرة، (١٤).

وعبارة أخرى تقول : «ولم تكن فكرة حرية المعتقد، والحرية الدينية إلا إيذانا بسيطرة المزاخمة في مجال المعرفة» (١٥).

وعبارة ثالثة ،نعرف كيف كان الرهبان يحشون الآثار الكلاسيكية الوثنية بحكايا مقدسة كاثوليكية سخيفة، (١٦).

ثم نورد عبارة أكثر طولا لكنها أكثر تجاؤزا: «لا شيء ادعى للضحك من دعر برجوازيتنا الأخلاقي جدا امام ما يزعم من إشاعة الشيوعيين الرسمية للنساء.. لا يحتاج الشيوعيون لإدخال إشاعة النساء، إذ أنها كانت تقريبا دائما موجودة.. الزواج البرجوازي في حقيقته هو إشاعة النساء المتزوجات، ثم ولذا فإن أكثر ما قد يمكن إتهام الشيوعيين به أنهم يريدون المشاعة رسمية ومعترفها بها علنا محل إشاعة مموهة نفاقا..»

والغريب في الأمر أن ماركس وانجلز لم يكونا يقصدان هذا المعنى تحديدا، بل على العكس من ذلك.

فهما يعمدان فيؤكدان «إن القضاء على نظام الإنتاج الرأهن يقضى على مشاعية النساء المنحدرة منه..»

.. أنه الأسلوب اللتوى وغير المستقيم الذى يمكن الخصم من عنق الكاتب.. دونما مبرر منطقي.

(ب) الاشتراكية متى؟

وبرغم الفهم العلمى لماركس وانجلز في نظرتهم للتطور التاريخي للمجتمعات إلا أن «الحماس» الشاب قد أطل متعجلا في كتابة البيان.

أكثر من مرة يؤكدان، يلحان ، يصممان أن الاشتراكية قادمة فورا. وأن الرأسمالية زائلة فورا.

ونفرا «من الواضح إذن أن البرجوازية لم تعد قادرة على أن تظل لوقت أطول الطبقة السائدة على المجتمع، فهي لم تعد قادرة على أن تحكم .. لم يعد المجتمع قادرا على العيش تحت سيطرة البرجوازية، وعبارة أخرى لم يعد بقاء البرجوازية ملائما لبقاء المجتمع»، (١٧).

وأيضاً ، أن البرجوازية لم تصنع أسلحة إعدامها وحسب، بل انتجت أيضا الرجال

الذين يستخدمون هذه الأسلحة العمال المصريين أو البروليتاريا، (١٨).
وكذلك : «لا يمكن للثورة البرجوازية الألمانية إلا أن تكون تمهيدا فوريا لثورة
البروليتاريا» (١٩)

ثم يكتمل البناء الدرامى بالعبارة الحاسمة ،فلترتعد فرائص الطبقات الحاكمة امام
الثورة الشيوعية، (٢٠).

وعبارة «ان شبحاً يرعب أوربا هو شبح الشيوعية» (٢١).
ولعل من حق ماركس وانجلز علينا أن نستعيد الكثير من كتاباتهما الأكثر نضجاً
والأكثر هدوءاً وتأنياً فى الحديث عن الثورة المرتقبة.

.. والفارق واضح تماما بين كتابة أكاديمية متأنية ورصينة .. وكتابة سياسية مفعمة
بالحماس والفارق واسع بين الحماس السياسى والأكاديمية العلمية.
وكان ما سبق، كل ما سبق تأملا فى النص.

فهل نتأمل فى علاقتنا نحن بالنص والموقف؟

• نعترف فى البداية بتقديرنا العميق للموقف المبدئى لماركس وانجلز بشأن تعلق
النصوص بالزمان، وتأكيدهما أن النصوص تشيخ بمضى المدة.

•• ونؤكد كذلك تقديرنا العميق للموقف من مكانية النص أى تعلقه بالمكان.. فإذا
كانت مغايرة المكان داخل أوربا . أى من فرنسا لألمانيا تجعل النصوص والمواقف بحاجة
إلى تغيير، فما بالنا بمغايرة مكانية كذلك التى تتمثل فى الفارق بين بلد أوربى أو
بالدقة نص متعلق ببلد أوربى وعلاقته بمصر.. أو موريتانيا.. أو جيبوتى؟

••• كما نؤكد كل هذا التقدير، نؤكد معه عدم التزامنا بالنصوص الخارجة على
النص المفترض لكتابة أكاديمية كذلك التى أوردناها فيما سبق.

•• كما نؤكد اختلافنا العميق مع النصوص المتعلقة بالموقف من الدين. ليس فقط
بسبب من اختلاف النظرة للمعتقد الدينى، وإنما لأن رجال الدين الأوربيين كانوا
ظهيرا للاقطاع، وكانت الكنيسة الكاثوليكية بالذات ركنا أساسيا من أركان النظام
الأقطاعى الأوربى.. ولعل هذا يفسر سخط «البيان» على الكاثوليكية بالذات أكثر من
غيرها. بينما كان رجال الدين فى بلادنا جزءاً من حركة التحرر الوطنى، بل وقادة لها
فى بعض الأحيان.

ونؤكد اختلافنا مع فكرة أن الأخلاق والتقاليد ونظام العائلة تتغير ببساطة كلما
تغيرت العلاقات الاجتماعية كما يغير الناس جوارهم.. لقد مرت حقبة عديدة بينهما

تبقى قيم اجتماعية وإخلاقية راسخة، بل وتزداد رسوخاً. بل لعل ماركس وإنجلز كانا سيسهران بدهشة عميقة لو لاحظا تلك العودة الجارفة للقيم الدينية في ربوع أوروبا وأمريكا مع - ويرغم التقدم - المادى (الصناعى - الاقتصادى - العلمى - المعرفى .. إلخ) الجارف.

ومن ثم فإن عبارة مثل : فكل العلاقات الاجتماعية التقليدية والباهتة تتفسخ، ومعها تتفسخ مواكب تصوراتها وأفكارها المتينة الوقورة، والعلاقات التى تحل محلها لا تلبث أن تهدم حتى قبل أن يصلب عودها . وكل ما كان مكيناً ومستقراً يتطاير هباءً منثوراً، وكل ما كان مقدساً يقدو مدنساً، وأخيراً يضطر الناس إلى فحص شروط حياتهم وعلاقاتهم المتبادلة بأعين صاحبة، عبارة كهذه تبدو بالنسبة لنا غير واقعية حتى فى علاقتها بالواقع الأوربي الواقعى.

ونظراً لاختلاف الأوضاع، نختلف مع الفكرة التى وردت فى «البيان، حول القومية. أوروبا هذا الزمان كانت دولة استعمارية نزعاتها القومية اتخذت تجليات رجعية وعدوانية وتوسعية، أما المستعمرات أو التى لم تزل تعاني من الهيمنة والتمهيش .. والاضغوط والمنافسة الاقتصادية غير المتكافئة، والغزو الثقافى إلخ فإن نزعاتها القومية وتمسكها وتماسكها القومى يتخذان طابعاً تحررياً وتقدمياً . وهكذا فإن عبارة مثل : لا يتميز البروليتاريون عن الأحزاب البروليتارية الأخرى إلا .. فى أنهم فى مختلف نضالات البروليتاريين القومية يضعون فى المقدمة ويغلبون المصالح المستقلة عن القومية» (٢٢). وعبارة «العمال لا وطن لهم» (٢٣) هى عبارات لا تخصنا، ولا يمكن أن تخصنا ليس فقط من منظور مشاعرنا نحن، وإنما أيضاً من منظور ماركس وإنجلز.

●●● وكما تتمايز المجتمعات، تتمايز الطبقات والقوى الاجتماعية والموقف منها، فإذا كان البيان الشيوعى يؤكد فى حسم «أن الطبقات الوسطى ليست ثورية، بل محافظة، لا بل رجعية» (٢٤) فإن هذه العبارة لا تنطبق تماماً فى كثير من الحالات مع أوضاعنا. ومن باب أولى فإن الموقف الحاد جداً من البرجوازية الصغيرة «لقد أغرقت أقدس انفعالات الوجد الدينى والحمية الفروسية ورقة البرجوازية الصغيرة الرخيصة فى صقيع الحساب الأناضى» (٢٥) لا يسرى علينا، ولا يمكنه أن يفضل ذلك.

كذلك فإن عبارة مثل «هى البداية لا سبيل لتحقيق ذلك (سيطرة البروليتاريا على أدوات الإنتاج) إلا بالانتهاك الاستبدادى لحرمة حق الملكية وعلاقات الإنتاج البرجوازية» (٢٦) سوف تحتاج من الجميع محاولة وضع تفسير منطقى وديمقراطى،

لكلمة استبدادى.

وفيما عدا ذلك يمكننا القول إننا نتفق مع التحليل العلمى الرصين لعملية تحويل النظام الاقطاعى، الأوروبى، نحو الرأسمالية ولدور الرأسمالية الأوربية فى ذلك. وللتحليل الاقتصادى لطبيعة الاستغلال الرأسمالى.. وهو ما نعتقد أنه الجوهر الأساسى. والمقصود الفعلى من البيان الشيوعى..

وبعد..

إن العبقرية الأساسية لمؤلفى البيان الشيوعى تكمن فى كونهما لم يلتزما بالتكليف الصادر لهما من «رابطة الشيوعيين، بإعداد برنامج «مفصل وعملى، تحايلا على التكليف لإدراكهما باستحالة إعداد برنامج مفصل لكل بلدان أوروبا.. فاعدا تحايلا سياسيا عاما، واكدا أن مفارقة المكان تستعدي بالضرورة مفارقة الفهم والتطبيق.

وأدراكا بفكر شاقب أن الأفضاض.. والمواقف والأفكار تشيخ بمضى الزمان.

وهذان هما الدرسان الأساسيان اللذان يتعين علينا اليوم أن نتفهمهما تماما، ليس فقط ونحن نحتفل بمضى مائة وخمسين عاما على صدور البيان الشيوعى، وإنما كذلك فى كل تعامل لنا مع النصوص ومع المواقف ومع التحليلات السياسية.

لقد أكد ماركس وأنجلز حتمية الالتزام بطبيعة ومعطيات الزمان والمكان.

وهذا ما نتمسك به، وما نطالب الجميع أن يتمسكوا به كى يصبحوا ماركسيين حقا، وليس مجرد سلفيين يقدسون نصوصا لا تخصهم، نصوص يؤكد أصحابها أنها «شاخنة، وأنها متعلقة بأوضاع أخرى.. وأماكن أخرى.

وهكذا تكون دراستنا للبيان الشيوعى بعد مائة وخمسين عاما على صدوره.. فرصة ليس لتقديس النص، وإنما لتحليله تحليلا انتقاديا، والتعرف على نقاط الضعف فيه، قبل أن نمجد نقاط القوة.. والصحة.

وتكون أيضا مناسبة للتأكيد على أن هذه النصوص وأمثالها هى مجرد اجتهادات تتعلق برؤية كتابها لواقعهم فى زمان ومكان محددين، وأن واجبا إزاء هذه النصوص هو الإعتماد، بأسلوب التفكير، وطريقة التحليل، والتعرف على مواقف أصحابها من حالات محددة، فى زمان محدد، ومكان محدد.

الاهتداء.. وليس الاقتداء.

هذا ما نعتقد أنه صواب.

أو بالدقة ما نعتقد أنه علمي.. أو ماركسي
بل نعتقد أن البعض الذي يتعبد النص باعتباره مقدسا، لا يجافى العقل والعلم
والزمان والمكان والواقع فحسب وإنما يجافى الماركسية أيضا.
.. ونعود لنسأل هؤلاء أن يطالعوا العبارة التي بدأنا بها هذا المقال.

وتمضى مائة وخمسون عاما
وتبقى هذه الرؤية التي رفع أصحاب هذه الوثيقة أعلامها تبقى برغم كل الضغوط
والمدوات والنكسات قادرة على البقاء .. وعلى إلهام ملايين البشر بحلم جميل ، لغد
أكثر جمالا .

تبقى قادرة على مواجهة الانتكاسات، وعلى تحدى حتى نفسها كي تصوب الأخطاء..
وتنطلق مجددا إلى آفاق الحلم الاشتراكي المنتظر.

تبقى، ليس لأننا نصر على التمسك بها، وإنما لأنها نابعة من ضرورة واقعية.. ولأنها
تعبير صحيح وحى عن أمل جماهير واسعة فى غد يحمل معه للإنسان حياة أفضل.
وكلما ازدادت الرأسمالية توحشا . وكلما تصاعدت وحشيتها أدركت جماهير أوسع
فأوسع حاجتها إلى الالتحاق بركب المستقبل الاشتراكي.

إن فكرة ما .. ونظرية ما غير الماركسية لم تستطع أن تستجمع معها وفى إطارها وتحت
راياتها ملايين من البشر فى كل أرجاء المعمورة كما فعلت الماركسية.

ولم يكن ذلك من قبل المصادفة.

وهكذا يحق لنا أن نحتفى وأن نحتفل بالعيد الخمسين بعد المائة لبداية هذه المسيرة،
التي بدأت ولم تزل تواصل مسيرتها نحو غد اشتراكي.

لكن اليقين وحده لا يكفى والأصرار كذلك لا يكفى، وإنما نحتاج الآن أكثر ما نحتاج
إلى الوعي ليس الوعي بالحاجة إلى الماركسية.. وإنما الوعي بضرورة تطويرها..
والتفاعل معها، وبها مع واقعنا الواقعي زمانا ومكانا لنصوغ من هذا التفاعل - وفى كل
بلد على حدة- صياغتنا الماركسية الخاصة بنا، والملائمة لظروفنا، والنابعة من واقعنا.
هذا هو الدرس.

هذا ما أكدته مبدعا البيان الشيوعي منذ مائة وخمسين عاما، لكننا نسيناه فى غمرة
الحماس والتقليد للنص، والخضوع للرير المذاق لرواية أحادية فرضت نفسها على
الجميع وكأنها «هاتيكان، يوزع صكوك الغفران، ومعها تعاليم واجبة النفاذ.

هذا هو الدرس .. المثير.. الذى قادنا إلى ما نحن فيه من انتكاسة أشد مرارة والذى منه نتعلم كيف نتعامل مع النص، وكيف نستلهم منه منهجية التفكير، وليس حرفية التقليد.

.. ونعود إلى بهجة الاحتفال بالعيد المائة والخمسين.. فنتماسك ، كى نتمسك بقدرتنا على فهم ماركسى صحيح للماركسية. فهم يتخطى قدسية النص، ويتخطى التقليد، وفرض التماثل بين غير التماثلين، ويرتبط بالواقع المحلى ويلتزم به.. فهم يصوغ لنا ماركسيتنا الملائمة لنا.

وبهذا نكون قد أقمنا الاحتفال الحقيقى.

هوامش:

(*) سنعتمد دوماً فى الحديث عن «البيان الشيوعى، على الترجمة للبيان بقلم الأستاذ عفيف الأخضر والذى قال إنه ترجم الفصل الأول منها نقلاً عن الترجمات الفرنسية الأربع ، وفى حالة وجود خلاف بينها رجع إلى الأصل الألمانى، أما بقية الفصول فقد روجعت بدقة على الأصل الألمانى وبهذا يؤكد المترجم : «إن هذه الترجمة أفضل من الترجمات الفرنسية المتداولة وتضاهى على الأقل الترجمة الانجليزية التى راجعها إنجلز بنفسه، وقد صدرت هذه الترجمة بمناسبة مرور مائة وخمسين عاماً على صدور البيان الشيوعى من دار الثقافة الجديدة، القاهرة ١٩٩٨.

(١) ص٦

(٢) ص٧

(٣) ص٥

(٤) ص٤٧

(٥) ص٥٠

(٦) ص٥٣

(٧) ص٥٤

(٨) ص٥٥

(٩) ص٥٧

(١٠) محاضر المجلس العام للأمية الأولى ١٨٦٦ - ١٨٦٨ - ترجمة حمدي عبد الجواد.



دار الثقافة الجديدة، القاهرة (١٩٧٨) ص ١٠

(١١) المرجع السابق ص، ٢٨٤

(١٢) المرجع السابق. ص ٣١٢

(١٣) المرجع السابق ص ١٩

(١٤) البيان الشيوعي - المرجع السابق - ص ٣٣.

(١٥) ص ٤٦

(١٦) ص ٥٤

(١٧) ص ٣٥

(١٨) ص ٢٧

(١٩) ص ٦٦

(٢٠) ص ٦٦.

(٢١) ص ١٧.

(٢٢) ص ٣٧

(٢٣) ص ٤٤

(٢٤) ص ٣٢

(٢٥) ص ٢٢

(٢٦) ص ٤٧

فلاديمير إيلتش لينين

الفكر والنضال

محمود أمين العالم

لا نكاد نجد إنساناً ارتبط فكره العميق بنضاله الثوري الجسور، كما نجد ذلك في حياة فلاديمير إيلتش لينين.

فبالفكر النظري والممارسة الثورية راح يقتحم الظروف الموضوعية المحددة في بلاده، في عصره ويستخلص قوانينها العامة ويحقق بهذا إضافة خلاقة لتراث الفكر الثوري، ويدفع بحركة التاريخ، ويتنبأ بمساراتها المقبلة، بل يظل في عصرنا الراهن كله، حقيقة متجسدة ملهمة حية.

كانت نظرية ماركس وإنجلز - في الحقيقة - انتقالاً بالفكر الاشتراكي من شطحاته الخيالية إلى مصاف العلم المنضبط.

أما اللينينية فهي تطوير لهذه النظرية العلمية، وتطبيقها على ظروف محددة جديدة، هي ظروف انتقال الرأسمالية إلى مرحلة الامبريالية، وهي بداية انهيار النظام الرأسمالي وتفجير حركات التحرر الوطني وانتصارها وانتقال البشرية كلها من الرأسمالية إلى الاشتراكية.

ومن الدراسة الموضوعية المحددة للواقع الروسي، ومن الالتحام الذاتي بحركة جماهيره، ومن الرؤية الشاملة لحركة الحياة في العصر كله، ومن تحديد قوانينها العامة، وتنوع قوانينها الخاصة، استطاع لينين أن يضيف إلى الماركسية وإلى التراث

الثورى الإنسانى، إضافة خلاقة حقاً.

إن نظرية ماركس - كما قال لينين - ليست شيئاً كاملاً لا سبيل إلى المساس به، بل أنها مجرد حجر الأساس للعلم الذى يجب على الاشتراكيين أن يطوروه فى كل الاتجاهات إذا أرادوا ألا يتخلفوا عن الحياة.

لم يحدد لينين بالدراسة الشاملة، معالم هذه النظرية دفعة واحدة، وإنما نمت مع نمو النضال، مع نمو المعرفة بقوانين الواقع المحدد، مع نمو القوى الذاتية للحركة الثورية فى روسيا وفى العالم، نمت بامتزاج فكره بالنضال الثورى، فى إطار المبادئ العامة لنظرية ماركس وإنجلز.

كانت روسيا مع ميلاد لينين فى ٢٢ أبريل ١٨٧٠ مجتمعاً أوتقراطياً يسوده الاقطاع، وتنمو فيه الرأسمالية، ويتحقق فى إطاره قهر بشع لعدد من القوميات.

وكانت هناك هبات تلقائية للعمال والفلّاحين، وكانت هناك ارهصاصات لفكر علمى اجتماعى جديد يتمثل فى كتابات هرزن وتشير نيشفسكى وغيرهما، وكانت الماركسية قد أخذت تنتشر بفضل جهود جماعة تحرير العمل، التى شكلها بليخانوف فى سويسرا عام ١٨٨٣، وأخذت تترجم كتب ماركس وإنجلز وترسل بها سراً إلى روسيا.

على أن هذا الفكر لم يكن بعد قد امتزج بحركة الجماهير، ولم يكن بعد قد تجسد فى الظروف المحددة فى روسيا..

وعندما بدأت حياة لينين النضالية، كان على معرفة وإيمان بالماركسية ولكنه أخذ - منذ البداية - بشق طريقه الفكرى للتعرف على القسمات الموضوعية لواقع بلاده غير منعزل فى الوقت نفسه عن الحركة الذاتية للجماهير العاملة من حوله.

كانت هناك حلقات ماركسية متناشرة يغلب على نشاطها العمل الدعائى الخالص، مع مشاركة فى الهبات التلقائية للجماهير الكادحة وانغمس لينين فى هذا كله، دون أن يفقد إحساسه بالحاجة إلى المعرفة النظرية المحددة بالواقع المحدد.

وكانت بداية اكتشافه الفكرى، هو رفض الفكر غير الثورى فى التطبيق بحثاً عن معالم الفكر الثورى الأصيل فى التطبيق أيضاً.

ولذا بدأت معاركه الفكرية الأولى باصطدامه بالشعبيين فى كتابه المبكر «من هم اصديقاء الشعب؟».

تساءل لينين: من اصديقاء الشعب..

وأجاب: أنهم بالتأكيد ليسوا هؤلاء الشعبويين.. لماذا؟.. ذلك أنهم لا يبصرون حركة

المجتمع الروسى فى قوانينه الأساسية، لا يبصرون تطور الرأسمالية فى روسيا، ويقتصر عملهم على الدعاوى الإصلاحية، أو مغامرات الإرهاب والأغتيال الفردى، ولا يدركون القيمة الثورية للطبقة العاملة، ولا يرون هذه القيمة إلا فى حركة الفلاحين.

وفى هذا الكتاب يؤكد لينين تطور الرأسمالية فى روسيا، ويؤكد القيمة الثورية للطبقة العاملة، ثم يحقق أول إضافة جديدة للماركسية بدعوته إلى التحالف بين العمال والفلاحين كضرورة حاسمة لانتصار الثورة.

ويواصل لينين نضاله الفكرى دون أن يتخلى لحظة واحدة عن التزامه الدائم بحركة الطبقة العاملة الروسية من حوله، وينمو لديه إدراك موضوعى بضرورة وحدة النضال، مع ضرورة نقاوة الفكر.. ضرورة توحيد الحلقات والمنظمات الماركسية فى هيكى تنظيمى موحد، مسلح بخطة عمل موحدة.

ويدخل لينين السجن، فتتواثر له فرصة للتأمل العميق فى واقع الظروف النامية فى روسيا، ويشرع فى إعداد كتابه الكبير الذى كان سنداً نظرياً أساسياً لأى خطة نضالية تحدد بعد ذلك أنه كتاب تطور الرأسمالية فى روسيا، الذى يدل فى التحليل الموضوعى العلمى على نمو الرأسمالية فى روسيا لا فى الصناعة وحدها بل فى الزراعة كذلك، ويطور فيه نظريته الجديدة فى ضرورة التحالف بين العمال والفلاحين تحت قيادة البروليتاريا كشرط ضرورى حاسم لامكانية تحقيق الثورة الديمقراطية والاجتماعية.

ولكن .. هل يكفى هذا التحديد النظرى للظروف الموضوعية للواقع الروسى.. لتحقيق الثورة؟

هنا تبرز فى فكر لينين.. أهمية تكوين الحزب.

وفى منفاه بعد ذلك، أخذ يضع الخطوط الأساسية لتكوين الحزب..

وكان من الضرورى أن يواجه أولاً مجموعة أخرى من النظريين الذين راحوا يدعون إلى قصر نضال الطبقة العاملة على الجانب الاقتصادى وحده.

وفى عام ١٨٩٨ انعقد المؤتمر الأول للحزب.. ولكنه لم يستطع أن يوجد الحلقات المتناشرة، وأن يحدد برنامجاً للعمل الثورى..

وبدأ السؤال يلح من جديد على فكر لينين .. ما العمل من أجل تكوين حزب للطبقة العاملة؟.. كيف السبيل إلى تحقيق ذلك؟

حقاً ليس للبروليتاريا من سلاح فى سبيل السلطة إلا التنظيم، ولكن كيف يتكون هذا التنظيم؟ وما هى قسماته الأساسية؟..

ووضع لينين يده على الحلقة الرئيسية المحددة التى تمهد لتحقيق ذلك: الجريدة.. جريدة تكون أداة للتثقيف والتوعية، وتكون كذلك أداة للتوحيد والربط بين هذه الحلقات والمنظمات المتناثرة.

وهكذا انتقل لينين من تحليل الواقع الثورى إلى تحديد الوسيلة الثورية للسيطرة عليه.

وصدرت أسكرا.. الشرارة، فى ديسمبر ١٩٠٠، مرتبطة بشبكة واسعة من الاتصال الداخلى بين مختلف المنظمات والحلقات.

ومع أسكرا بدأت التوعية الحقيقية المنظمة لتكوين الحزب، ومع كتابة «ما العمل، الذى صدر عام ١٩٠٢ أخذ لينين يناقش قسمات الحزب الجديد.. أنه حزب ثورى من نوع جديد يمبر عن مصالح الطبقة العاملة، يتسلح بالنظرية ويخطط عمل محددة ولألحة داخلية منظمة لعمله، ويقوم على جهاز من المحترفين الثوريين وشبكة من المنظمات المحلية.

ولكن.. قبل أن نتحدد ومن أجل أن نتحدد .. لابد من تحديد الخط الفكرى الفاصل ذلك أنه بدون نظرية ثورية لا توجد حركة ثورية..

ووضع لينين برنامج الحزب .. وحدد الهدف : إسقاط النظام القيصرى وإقامة دولة ديمقراطية.. بناء مجتمع جديد، يقوم على التحالف بين العمال والفلاحين.. تحرير القوميات المقهورة فى الدولة الروسية ومنحها حق تقرير المصير بما فى ذلك حق الانفصال..

وفى هذه المرحلة من النضال من أجل بناء الحزب خاض لينين معركة بالغة الأهمية بالنسبة لنضالنا العربى الراهن ، أنها معركة ضد مجموعة البوند.. كانت هذه المجموعة تدعى تمثيل الطبقة العاملة اليهودية وكانت ترفض دعوة الوحدة التنظيمية للطبقة العاملة، وتنادى بتكوين حزب فيدرالى للطبقة العاملة تحتفظ فيه الطبقة العاملة اليهودية بتشكيلاتها المستقلة على أساس أن اليهود فى العالم كله يمثلون قومية متميزة.

وحارب لينين بشدة هذه الفكرة، واعتبرها دعوة انفصالية رجمية وأدان ادعاء البوند بأنهم الممثلون للطبقة العاملة اليهودية، مهما اختلفت قومياتها.. وقال لينين إن



اليهود لا يكونون قومية خاصة، وليست لهم وضعية خاصة بين الأمم وأكد أن الدعوة إلى القومية اليهودية إنما هي دعوة زائفة بشكل مطلق ورجعية في جوهرها .. وقال إن المشكلة اليهودية لا تحل بالعزلة القومية الزائفة لليهود بل بامتزاجهم واندماجهم في قومياتهم المختلفة والانخراط في النضال الثوري ضد الاستغلال.

وانتصر لينين على دعاوى البوند، وعلى غيرهم من دعاة الانفصال وانعقد المؤتمر الثاني للحزب، وتمت الموافقة فيه على البرنامج وعلى بنود الثلاثة باستثناء شرط الانخراط في إحدى منظمات الحزب.

واعتبر لينين نتائج هذا المؤتمر خطوة إلى الأمام وخطوتين إلى الخلف على حد عنوان كتيبه المشهور.

واتهم المجموعة التي رفضت اعتبار الانخراط في إحدى منظمات الحزب بأنها تريد تميع الحزب، وتفكيك وحدته، وجعله منتدي للهواة والثرثارين.. ومن هنا بدأ الصراع التاريخي بين المنشفيك والبولشفيك.

واصل لينين نضاله الفكري والعملى الحاسم ضد الفكر المنشفيكي من أجل قرار الطابع الثوري لبناء الحزب .. ونجح في تحقيق ذلك في المؤتمر الثالث عام ١٩٠٤.

ومع نضج التشكيل الثوري للحزب، كانت قد نضجت كذلك الأوضاع الثورية في المجتمع الروسي..

وفي عام ١٩٠٥ بدأت هيئة ثورية عارمة ، وراح لينين يغذيها بفكره وتوجيهاته المحددة المباشرة.. رغم وجوده خارج روسيا آنذاك.. وفي هذه الثورة بدأت السنوات الأولى لسوفيات العمال والجنود والفلاحين جنين بسيط تكون في غمرة الأعمال الثورية تلقائيا.. تبينه لينين، وتنبا بأنه سيكون الشكل الديمقراطي للسلطة الثورية الجديدة.

وكانت المرحلة تستدعي تحديا حاسما لطبيعة الأهداف الثورية، ولمراحل تحقيقها. فكان كتابه البالغ الأهمية، تكتيكات للثورة الديمقراطية، حدد فيه لينين مرحلتين للثورة مرحلة أولى هي مرحلة الثورة البورجوازية الديمقراطية، مهمتها القضاء على الإقطاع والإطاحة بالقيصر، وإقامة حكومة مؤقتة من العمال والفلاحين بقيادة الطبقة العاملة، تمهد للمرحلة الثانية مرحلة الثورة البروليتارية..

واختلف معه المنشفيك، ونادوا بأن تكون السلطة في المراحل الأولى للبورجوازية، على أن تقوم البروليتاريا بدعمها فحسب، مؤكدين أنه لن تتحقق الثورة البروليتارية إلا عندما تصبح البروليتاريا هي الأغلبية الساحقة وتستولي على السلطة وحدها..

ولكن ثورة ١٩٠٥ فشلت في تحقيق أهدافها .. وراح لينين يستخلص الدروس الموضوعية والذاتية في هذا الفشل.

وحدد لينين بدقة أسباب الفشل : إن البروليتاريا لم تستطع أن تكسب تأييد الجيش، ولم تدعم تحالفها مع الفلاحين، ولم تحسن استخدام الهبة المسلحة بجسارة أكبر. وبعد فشل هذه الثورة، بدأت مرحلة من الانتعاش للرجعية، سواء من الناحية النظرية أو العملية.

وخاض لينين معارك حامية في المؤتمر الرابع والخامس من أجل تحديد معالم المشكلة الزراعية دعماً للتحالف بين العمال والفلاحين، ورفع شعار ضرورة مصادرة الأرض وتأميمها على حين رفع المنشفيك شعار الاكتفاء بتأجيرها للفلاحين.. وفي خلال هذه المرحلة، عكف لينين على كتابة مؤلفه الفلسفي العظيم المادية والنقد التجريبي. وعمل على المزج بين العمل السري والعمل العلني، وكسب مواقع بين صفوف الجماهير، وفي مختلف المؤسسات العلنية كالسودا مثلاً، وفي خلال هذه المرحلة أتم دراساته الخلاقة للمسألة القومية.. وحدد مبادئها الأساسية: المساواة الكاملة في الحقوق بين الشعوب الصغيرة وكبيرها وحق الأمم جميعها في تقرير مصيرها بحرية تامة بما في ذلك حق الانفصال..

وفي هذه المرحلة كذلك.. نضجت مفاهيمه حول قضايا التحرير الوطني وأدرك قيمتها الثورية الكبيرة، وأخذ يساندها مساندة دماثة وعملية.. لقد تنبأ لينين منذ وقت مبكر، وقبل أن تنضج حركات التحرر الوطني، بتفجر الصراع الحاد بين الاستعمار وشعوب المستعمرات وأشباهها.. وقال: سوف تندلع حركات التحرر الوطني في العالم أجمع..

وقال لينين بحتمية الحروب التحررية وبأنها حروب تقدمية وثورية كذلك.. وتنبأ لينين بأن الشعوب الكادحة في المستعمرات سوف تلعب دوراً حاسماً في المراحل المتقدمة من الثورة العالمية، وقال إن نضال حركات التحرر الوطني ضد الامبريالية هو في جوهره نضال ضد الرأسمالية.

وتنبأ لينين بأن الثورة التحررية الوطنية لن تمر في تطورها بنفس المراحل التاريخية التقليدية بل قد تنتقل رأساً إلى الاشتراكية دون المرور بمرحلة الرأسمالية. وطالب الاشتراكيين في العالم بالتحالف الثوري الوثيق بين نضال الطبقات العاملة ضد دولها الرأسمالية، وبين حركات التحرر الوطني ضد الاستعمار.

واعتبر هذا التحالف عاملا حاسما فى نضج الثورة العالمية.
وفى هذه المرحلة.. بدأت الحرب العالمية الأولى وانهقد مؤتمر عالمى للمنظمات الاشتراكية الديمقراطية لتحديد موقف من هذه الحروب. وفى هذا المؤتمر تم فضح الجناح اليمى من الاشتراكيين الديمقراطيين الذين طالبوا بتأييد الحرب والمشاركة فيها دفاعا عن الأرض والأم.

وفى هذه المرحلة كتب لينين مؤلفه العظيم الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية.
وفى فبراير ١٩١٧ اندلعت الثورة فى روسيا وأطاحت بسلطة القيصر ولكن البورجوازية تمكنت من السيطرة على السلطة.. ووقف إلى جانبها المنشفيك.
وقال لينين.. فلنواصل طريق الثورة، ولننتقل بحسم إلى مرحلتها الثانية، مرحلة الثورة الاشتراكية، ورفض تأييد سلطة البورجوازية الجديدة، وأخذ يقود العمل الثورى من أجل الإطاحة بها وإقامة سلطة البروليتاريا.

وقال لينين، بإمكان تحقيق ذلك سلميا، عن طريق توعية سوفيات العمال والجنود والفلاحين التى تكونت ونمت فى غمرة هذه المرحلة الثورية وكسب أغليبتها للفكر الثورى الصحيح لتكون أساسا للسلطة الثورية الجديدة.

وهنا ألق سؤال نظرى جديد.. ما طبيعة السلطة الثورية الجديدة؟
ووجد هذا السؤال إجابته فى كتاب من أهم كتب لينين أعده فى هذه المرحلة هو كتاب «الدولة والثورة».

إن السلطة الجديدة هى سلطة دكتاتورية البروليتاريا.. إن كل سلطة، كل دولة هى دكتاتورية.. ولكن المهم أن نحدد طبيعة هذه الدكتاتورية.. لمن؟ إن قيام الدولة أى دولة إنما هو نتيجة لاستحالة التوفيق بين المتناقضات القائمة بين الطبقات فى المجتمع .. هذا هو سر منشؤها بل أن وجود الدولة دليل على أن المتناقضات بين الطبقات لا يمكن التوفيق بينها!

ودكتاتورية البروليتاريا ليست إلا الشكل الجديد للسلطة، يتواثر فيه حكم الأغلبية المقهورة، من العمال والفلاحين. إن العنف ضد حفنة من المستغلين - كما يقول لينين - ليس هو جوهر دكتاتورية البروليتاريا، وإنما جوهرها هو أن تحقق البروليتاريا شكلا للتنظيم الاجتماعى للعمل أرقى من الشكل الرأسمالى! هذا هو جوهر دكتاتورية البروليتاريا.

ولهذا فإن دكتاتورية البروليتاريا مادامت تمثل سلطة الأغلبية الساحقة للسكان، فهى

تمثل شكلا من الديمقراطية أرقى من أى ديمقراطية فى أى دولة بورجوازية، ودكتاتورية البروليتاريا فى الحقيقة ليست دولة بل هى شبه دولة، لأنها ليست فى جوهرها أداة للقهر الطبقي، بل هى أداة للبناء الاجتماعى وتنظيم العمل.

على أن تحقيق هذه الدولة الجديدة لا يمكن أن يتحقق إلا بتحطيم جهاز الدولة البورجوازية القديم، وبالتحالف بين العمال والفلاحين بقيادة البروليتاريا.

إن قيام هذه الدولة الجديدة شرط الانتقال إلى الاشتراكية، ولكنها ستتخذ كما يقول لينين أشكالا سياسية متنوعة بحسب التجارب الاجتماعية والقومية المتنوعة وأن احتفظت بقسماتها الجوهرية.

وبدا التحضير للمرحلة الثورية الجديدة، وقال لينين.. لابد من انضاج الظروف الذاتية، الملائمة للظروف الموضوعية، وكان هذا معنى توعية جماهير العمال وحسن تنظيمهم وكسب أغلبية سوفيات العمال والجنود والفلاحين، ودعم التحالف بين العمال وفقراء الفلاحين.

وراح يخوض نضالا فكريا وعمليا ضد محاولات يمينية ويسارية شتى تهدف إلى إجهاد الثورة، تعجيلا بها قبل أوانها، أو حرفا بها عن مضمونها الثورى.

وراح لينين فى الوقت نفسه يعيى الجماهير وينظم حركتها الثورية بقيادة الحزب، ثم حدد بالدقة اليوم المحدد لقيام الثورة وقامت الثورة فى ٢٥ أكتوبر بقيادة مباشرة منه.

ومنذ اليوم الأول لانتصار الثورة الذى تحقق سلميا فى البداية أخذ لينين يضع فى التطبيق خط الحزب.

• صدر مرسوم السلام.

• صدر مرسوم بمصادرة الأرض وتأميمها.

• أعلنت المساواة التامة فى الحقوق بين جميع شعوب روسيا، فضلا عن حقها فى تقرير مصيرها بما فيه حق الانفصال. وتسلمت الطبقة العاملة إدارة المصانع.

وواجهت الثورة أولى محنتها بموقف المانيا، التى لم توافق على السلام إلا بشرط الحصول على بعض الأراضى الروسية، وقرر لينين بشجاعة وموضوعية نادرة، الموافقة على ذلك، فى مواجهة حرب ضارية أخذ يتعرض لها من بعض اليساريين المتطرفين المتشككين بالكلمات الثورية الرنانة دون إدراك للظروف الموضوعية المحددة.

وأخيرا.. انتصر رأى لينين وانعقد صلح بريست ليتوفسك..

وما أن بدأ لينين يواجه الأعباء الداخلية، التمزق من جراء الحرب، الحاجة إلى إعادة

البناء، حتى بدأت حروب التدخل، ما يقرب من ١٤ دولة رأسمالية، تحشد ما يقرب من مليون جندي على جبهات روسيا المختلفة تساندها الرجعية الداخلية، للتطويع بالثورة الجديدة.

ويرتفع شعار لينين كل القوة للجبهة.

وتمر سنوات مريرة على الثورة.. ولكن الثورة تصمد وتنتصر في النهاية وتواصل بقيادة لينين مرحلة البناء الداخلي، ولكنه كذلك لا ينسى أبدا نضاله الفكري فيصدر كتابه الرابع مرض اليسارية، الطفولي للشيوعية.. ضد أفكار الانتهازية المغامرة. ثم يواجه أعباء البناء.. لم يكن ثمة معرفة سابقة بما ينبغي عمله.. لقد انتهت رحلة تحقيق الأهداف العامة، وبدأت مرحلة مواجهة المشكلات العملية المحددة.

الانتقال من مجتمع الإقطاع والرأسمالية إلى المجتمع الاشتراكي.

- إعادة البناء الاقتصادي والإداري على أساس ديمقراطي جدي..

- إنجاز ثورة ثقافية يتحقق بها إطلاق القوى الخلاقة لجماهير الشعب الذي كان ثلاثة أرباعه من الأميين.

- دعم العلاقة الديمقراطية بين القوميات السوفيتية التي حصلت على استقلالها الذاتي في إطار الدولة السوفيتية.

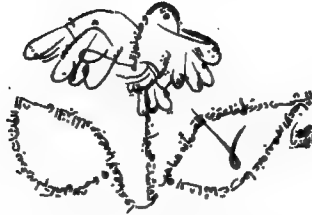
- إقامة الأساس المادي للتحويل الاشتراكي، متمثلا أساسا في الصناعة الثقيلة وفي الاهتمام بالعلم والتكنولوجيا.

- حل المشاكل العملية للقضية الزراعية، وابتكار أشكال جديدة للعمل والإنتاج الزراعي بما يدعم التحالف بين العمال والفلاحين على أساس مادي وعملي.

- وضع أسس مبدئية لسياسة عالمية جديدة مع العالم الرأسمالي المحيط بأول دولة اشتراكية، يقوم على أساس التعايش السلمي الذي لا يطمس الصراع الطبقي العالمي، بل يوجهه وينميه على أسس اقتصادية وفكرية جديدة.

- دعم الحزب وتنمية قدراته في ضوء الظروف الجديدة بقوة أساسية حاسمة للتثقيف والتحريك والتنظيم والتحول الاجتماعي.

- وضع أسس جديدة لوحدة الأممية البروليتارية بعد خيانة الاشتراكيين الديمقراطيين.. أممية بروليتارية جديدة تحترم الوطنية والاعتزاز الوطني وتحرص في الوقت نفسه على التضامن الثوري مع كل حركات التحرر والتقدم في العالم.



وراح لينين يخطط لهذا كله فى هياكله العامة، وتفصيله الجزئية بدأب وتفان وتواضع ومبدئية ومرونة. وشجاعة. وتفاؤل موضوعى.

وما أشد خصوبة هذه المرحلة من حياة لينين، ومن حياة الدولة الاشتراكية الجديدة وما أعظم الدروس الغنية المستخلصة منها.

ومات لينين وهو فى قمة هذا العمل الدؤوب الذى تفانى فيه رغم مرضه. مات.. ولكن بقيت لنا حياته كلها.. متمثلة، متجسدة، حية فى هذه المنجزات الفكرية والعملية التى تشكل اليوم معالم عصرنا الراهن كله.. بل وتحلد مستقبله كذلك. ويعد..

إننا لا نحتفل اليوم بذكرى رجل عظيم فحسب، بل نحتفل كذلك بفكر متجدد منتصر يحيا بيننا، يحيا به عصرنا، ويزداد كل يوم به تجديداً وانتصاراً وحياءً (٢).

هوامش:

- (١) مجلة الاشتراكي، ١٨ إبريل عام ١٩٧٠، بمناسبة العيد المئوى لمولده.
- (٢) لا يقلل من مصداقية هذا الذى كتبته منذ ما يقرب من ربع قرن، ما تحقق هذه الأيام من فشل للنموذج السوفيتى للاشتراكية وتفكك للمنظومة الاشتراكية فلهذا الفشل والتفكك أسباب ذاتية وموضوعية فكرية وعملية سبق أن عرضت لتفسيرها فى موضع آخر، على أن هذا لا يقلل ولا يطمس الدلالة والقيمة الكبيرة العلمية والثورية للماركسية فى عصرنا.

لماذا يكتب بعض نشطاء الحركة الوطنية المصرية باللهجة العامية؟

د. محمد عبد الشفيق عيسى

لاحظنا في الفترة الأخيرة بدء استخدام اللهجة العامية المصرية - استخداماً جزئياً - من جانب بعض الأطراف الممثلة لنشطاء الحركة الوطنية الجديدة في مصرنا الحبيبة، وخاصة من الشباب. يظهر ذلك في بعض الفقرات من المقالات والأعمدة الصحفية في بعض صحف (المعارضة) أو الصحف المستقلة والشعبية، كما يظهر في المدونات على الشبكة العالمية، الإنترنت، والتي يتحمل مسئوليتها شباب غير معروفين من قبل، وكذا في منشورات بعض المواقع الإلكترونية الناشئة والمعبرة عن حركة الاعتراض والاحتجاج متعدد الأوجه ضد الممارسات السياسية الرسمية الراهنة في مصر. فما الأسباب التي أدت إلى البروز الجزئي لظاهرة الكتابة بالعامية أو اللهجة الدارجة المصرية على هذا النحو مؤخراً؟ وما الرأي في هذه الظاهرة؟ نجتهد هنا فتهبداً بعرض عدد من الأسباب المحتملة لها. أولاً: بمقتضى علم الرموز والإشارات (اللغوية وغير اللغوية) Semiology فإن ظهور أية طريقة جديدة للتواصل الإشاري وبناء منظومات التواصل بالمعنى الواسع، تعبير عن حاجات اجتماعية جديدة، وأبنية الخطاب اللغوي بالتحديد، بما في ذلك «شعرية» السرد مثلاً، ليست في حقيقة الأمر،

مجرد بناءات لغوية تخضع للمنطق «الشكلاني، للتعبير الجمالي، ولكنها أبنية ثقافية - اجتماعية مكونة من طبقتين:» طبقة ظاهرة أو «سطحية، يمكن تحليلها بآليات «البيان»، بما فيه «البديع، العربي كما بلوره ابن رشيق في كتاب (العمدة)، وذلك في إطار التصنيف التقليدي للعلوم اللغوية العربية.» طبقة عميقة يجرى تحليلها بآليات البلاغة، وينطلق التحليل البلاغي العربي من (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) لعبد القاهر الجرجاني ولكنه يمتد ويتعمق في المساهمات العلمية الحديثة للعلوم اللسانية والإشارية. وبهذا المعنى يتم التحليل البلاغي في إطار المركب النفسي- الاجتماعي- الثقافي الخاص بتحليل الخطابات وتداولها وتأويلها وأنماط الاستجابة لها. وفق ما سبق تمثل الكتابة بالعامية، في بعض أجزاء النص، طريقة خاصة للتعبير الإشاري واللغوي- البلاغي، انطلاقاً من الحاجة إلى بناء نظام تواصل، بين أعضاء جماعة معينة - هي هنا أعضاء جماعة الشباب النشط سياسياً- وبين أعضاء هذه الجماعة وجمهورهم، المريض والذي هو مثلهم جمهور تواق إلى التجديد في إطار الحميمية المتبادلة. ثانياً، التفسير الثاني للظاهرة الناشئة أن الكتابة بالعامية - ولو على نحو جزئي كما ذكرنا- تجسد الرغبة في التجديد على قاعدة «المغايرة»، أي التمايز عن الجماعة الكبيرة، ويلعب هنا «أثر التقليد، مفعولاً مهماً، من خلال اللعب على وتر (العدوى الفكرية) التي يقودها فريق قليل ثم لا يلبث تأثيره الابتدائي أن ينتشر انتشار النار في الهشيم. ثالثاً: إن الاستخدام الجزئي للهجة العامية يمكن النظر إليه باعتباره ضرباً من ضروب التمرد على (النظام) الشامل للحياة العامة وفق القواعد التي يحددها (الوضع القائم) والنظام السياسي ونظام الحكم تحديداً. ويشكل التمرد على (نظام الكتابة) جزءاً من التمرد على كل نظام وفق المفهوم السابق. ولعلنا نستبق التحليل الاستنتاجي فنذكر أن التمرد رد فعل مشروع، ولكنه قد يقوم على مجرد استبدال ظاهرة معينة بمقلوبها أو نقيضها، وهو إن لم يتحول إلى فعل ثوري يظل في حيز الجانب «السالب» من عملية التغيير الاجتماعي، ويظل الجانب «الموجب» ضرورياً ممكنناً في الوقت نفسه. ويتطابق ذلك على فعل الكتابة، يكون من الضروري والممكن تأسيس لغة الكتابة في إطار تجديد المنظومة اللغوية العربية من داخلها وليس من خارجها. وشيء قريب من ذلك يتخلق الآن فعلاً من خلال التمازج بين الفصحى والعاميات العربية المختلفة بما فيها العامية القاهرية، كما لاحظت بعض الكتاب. رابعاً:

إن الكتابة، جزئياً بالعامية قد ينظر إليها، في رأي أصحابها، باعتبارها سبيلاً لتأكيد النزعة (الواقعية) في الكتابة السياسية والصحفية. وبهذا المعنى فإنها قد تمثل طريقاً أكثر استقامة ومباشرة للوصول إلى الجمهور المستهدف، وللتوصل إلى أعماق الحقيقة الخفية، سوف نستبق التحليل الاستنتاجي لنبادر هنا أيضاً بالقول إن الواقعية في الكتابة، كما تدلنا مذاهب النقد الأدبي، قد تجاوزت مذهب (المحاكاة الكلاسيكي، محاكاة الواقع، وتجاوزت واقعية القرن التاسع عشر بطابعها المباشر والذي وصل إلى حدود ما سمي بالنزعة (الطبيعية) - بمعنى نقل الواقع كما هو إلى عالم الكتابة، ويقدمون لها مثلاً روايات بلزاك. ومن خلال تراث (الواقعية الاشتراكية) - بالتضاد مع النزعات المفارقة للواقع مفارقة تامة أو شبه تامة كالسريالية - أصبحت الواقعية (واقعية نقدية): تلامس الواقع لتغيره، لا لتلتصق به. في ضوء ذلك يكون فعل الكتابة المرتجى ترجمة لإبداع متجاوز للواقع القائم، ومعلقاً إلى آفاق التغيير البعيدة. خامساً، إن الكتابة بالعامية تفتح مجالاً أوسع للتواصل بين جماعة (الكاتبين، وجماعة القارئ، من جيل جديد في مصر يتسم بضعف التكوين اللغوي العربي، كأثر من آثار هشاشة النظام التعليمي، وضآلة بعض مخرجاته النهائية، خاصة في مجال اللغة العربية، ويشمل ضعف التكوين اللغوي العربي كلاً من المحصول المعجمي، وقواعد اللغة نحواً وصرفاً، والقدرة التعبيرية والإنشائية، ممثلة في تكوين الجمل والعبارات والقطع اللغوية الدالة. ولا تخفى أهمية النحو في اللغة بالذات، على نحو ما بين المفكر اللغوي نعوم تشومسكي مثلاً من خلال ما سماه بالوظيفة التوليدية والتحويلية للنحو، مع وعى ما وجه إليه من نقد، وفي المقابل، يوهز استخدام اللهجة العامية آلة مطواعة تكفل حرية التعبير عن الذات بمرونة بل ويسهولة أكبر وبما لا يقبل المقارنة مع الاستخدام الصحيح للغة الفصحى. ويبدو الجيل الجديد في مصر العربية - من هذه الناحية - مختلفاً، مثلاً، عن الجيل الجديد في المشرق العربي (بالمعنى الضيق والذي يشمل سوريا ولبنان وفلسطين والأردن) خاصة في سوريا، حيث يصير التكلم بالعربية الفصحى طريقة معتادة للتعبير عن أدق الأفكار من أيسر السبل، وبأقصى ما هو متاح نسبياً لدى ذلك الجيل من سلة البيان العربي. وفي كل من تونس والمغرب قدرة مشابهة على التعبير بالفصحى على مستوى النخبة، في حدود معينة، ربما لصعوبة نسبية في التواصل مع سائر البلدان العربية باستخدام بعض

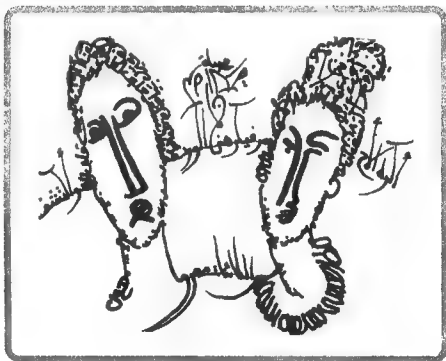
اللهجات المحلية المغاربية، خاصة لعلم شيوعها النسبى على المستوى العربى العام حتى الآن. وإن نظرة مقارنة خاطفة إلى الأداء اللغوى لشباب المذيعين ومقدمى البرامج على (القنوات الفضائية المرئية) وبعض الإذاعات المسموعة، لتؤكد هذا الاستنتاج الأولى على كل حال. سادساً: إن شباب نشطاء الحركة الوطنية المصرية يمارسون (السياسة بالكتابة)، مثلما يمارسون السياسة بوسائل أخرى متعددة، ومن هذه الزاوية، وبالاستعارة من قاموس جاك دريدا حول «التفكيكية»، ومن تراث بعض البنويين المعاصرين، فإن الكاتب (يموت) فور الانتهاء من كتابته، ليعيش «القارئ» من خلال تأويله الخاص للكتابة وفى إطار بناء عالميه الثقافى- الاجتماعى المتفرد. وبالتطبيق على موضوعنا هنا، فإن النشطاء السياسيين الجدد ينشرون - بقصد أو بدون قصد- قاعدة واسعة من القراء ذوى التأويلات المختلفة، ولكن المتشقة على منهاج المغايرة والمعارضة السياسية. وإذ تنحل الكتابة فى التأويل، تتسع قاعدة القراءات التأويلية، فى «مناقشة» من نوع خاص تنصرف إلى بناء نسيج ثقافى مشترك بل وفى «تناص» موسع على حد تعبير النقاد المحدثين، بمعنى تبادل الإحالة إلى النصوص فيما بين الكتابات المختلفة. وفى التحليل النهائى تفتح أوسع الأبواب أمام العمل السياسى الجديد للحركة الوطنية المصرية فى الإطار العام للحركات السياسية المناظرة على امتداد الوطن العربى الكبير. سابعاً: إن الكتابة بالعامية المصرية - اللهجة القاهرية بتعبير أدق- قد تختلف، من وجهة نظر أنصارها، عن الكتابة بأية عامية عربية أخرى، وربما تعكس وجهة النظر هذه نوعاً من الثقة الذاتية على المستوى الجمعى بالفنى الخاص لتلك اللهجة المدينية المتفردة - حتى بالمقارنة مع اللهجات الأخرى فى مصر نفسها. وقد تنبع هذه الثقة من الثروة السخية والمخزون المتجدد للهجة أبناء القاهرة من التركيب اللفظى ومرونة وليونة البناء الصوتى والصرفى، ومن التوازن (الهارمونى) على مستوى المفوز، والكتوب، كتقطير لغة العربية المحكية بلهجاتها المختلفة، فضلاً عن المدى الواسع لذيوعها بين الأرجاء العربية جميعاً، لذلك قد تعتبر الكتابة بالعامية القاهرية فى مصر استثناء لا يصح القياس عليه بالنسبة للعاميات العربية الأخرى. ختاماً نجد أنفسنا أمام السؤال عن الرأى فى هذه الظاهرة الجديدة للكتابة بالعامية المصرية، وإننا لنأمل فى عودة موسعة للموضوع، بيد أن من المهم أن نلاحظ أن نبل المقاصد للنشطاء السياسيين الجدد يقضى - من ضمن ما يقضى- بأهمية



وضرورة العمل على تجديد الكتابة السياسية والدعوية، ليس عن طريق «التساهل، اللغوى ولا بالتخلي عن العربية الفصيحة، إذ ليست العربية «الفصحى» هي فقط، الأداة الأكثر ملاءمة للتعبير عن المقولات الأكثر تعقيداً، ولا هي فقط لغة حية، قديمة - جديدة، وقادرة على التطور كما أثبتت طوال تاريخها، وإنما هي من قبل ومن بعد، لسان الهوية الناطق، وهي واسطة التجلي الوطنى - القومى، وإذن فلنعمل، من جيل جديد وجيل - أو أجيال - أقدم، على تجديد هذه العربية نفسها، مع الكتابة بها: سهلة وممتعة في الوقت نفسه، وبذلك تقترن السياسة واللغة اقتراناً منتجاً ومثمراً، مع التتابع المنتظم لأجيالنا الصاعدة.

الديوان الصغير

المحافظون الجدد:
منظرون لخراب العالم



على عبد العال

إنها قصة طائفة ثقافية تقيم في واشنطن، لا يتجاوز عددهما المائة أو المائتين، ومجموعة من المخططين الذين يريدون أن يبنوا إمبراطوريتهم الأمريكية على الدم والقتل والتكنيل وإرهاب الدولة.. وإنها أيضاً قصة عقائد الغابات، والأفكار التي استعارها بعض المنتسبين إلى الإنسانية من الحيوانات، حينما يصبح القتل والنهب والتدمير مذهب الإنسان ودينه، لا يكاد ينتهي من فريسة حتى يفكر في التي تليها والدم بين أنيابه.

من هم المحافظون الجدد.. ؟

"المحافظون الجدد" .. مجموعة سياسية أمريكية، تميل إلى اليمين المسيحي المتطرف، أمنت بقوة أمريكا وهيمنتها على العالم. وهم ليسوا ساسة فقط بل كتاباً نافذين، ومفكرين استراتيجيين، ومحاربين قدامى، وجمهرة من المثقفين أكثر تطرفاً من كل ألوان الطيف الفكري والثقافي الأمريكي الحالي.

وهم أيضاً جماعة ذات ميول صهيونية مغلقة بعداء شديد للعرب والمسلمين، حددت مسار السياسة الخارجية الأمريكية في عهد جورج دبليو بوش، وعملوا على بلورة سياسة تجيز استعمال قوة أمريكا العسكرية للوصول إلى أهدافها، من دون النظر إلى أية اعتراضات.. إذ يعتقد المحافظون الجدد أنهم يملكون الحقيقة وحدهم، وأن قوة الأسلحة التي يملكون تفرض نفوذها على الجميع.

ويصنف تيار المحافظين الجدد بأنه لصيق الصلة بإسرائيل، وحليف متعصب لها، إذ أن أكثر قادة ومنظري (الجدد) من المثقفين اليهود. ويعرف بعض المتخصصين هذا التيار بأنه نتيجة صراع نشب بين اليهود الليبراليين واليهود المحافظين حول السيطرة على وجهه يهود أمريكا الأيديولوجية.

والمحافظون الجدد ليسوا جدداً إلا في إعادة ممارسة دورهم وتوجهاتهم، لأن الفكر المحافظ هو لب القيم الأمريكية منذ تأسست الولايات المتحدة، وقد عادت هذه الخلايا النائمة إلى الظهور المتطرف من جديد بفضل النهج السياسي الذي اعتمده جورج بوش الابن.

وكان منشأ هذه الحركة مع خروج مجموعة كبيرة من المفكرين اليهود واليمينيين من الحزب "الديمقراطي" إبان ولاية جيمى كارتر، الذى تبنى أجندة اليسار الجديد، وعارض التصعيد ضد السوفييت ورفض مطالب المحافظين بتوظيف بعضهم فى إدارته. ومن ثم تحولوا - متبنين سياسة متشددة تدعو إلى تعزيز القوة العسكرية ومواجهة السوفيت - إلى الحزب "الجمهورى" وزادت هيمنتهم على السياسة الخارجية الأمريكية فى عهد رونالد ريجان، الذى آمن بفكرة التصعيد، ورفض نقد اليسار اللاذع للثقافة الأمريكية.

وقد عُرف المحافظون مع ريجان - كمجموعة منشقة عن الحزب الديمقراطي - باسم "ديمقراطيو ريجان" Reagan's Democrats ، حيث تفرقوا فى المراكز الأكاديمية والبحثية والإعلامية من دون أن ينتظموا فى حزب أو يشكلوا جسماً سياسياً يمكن أن يشار إلى أده السياسى المكتوب أو إلى عقيدته الفكرية. وكانت هذه هى المرحلة التى تبلور خلالها تيار "المحافظين الجدد"، إذ ساعدت الحركات - أو بمعنى أدق - التقلبات الفكرية والسياسية التى مر بها المجتمع الأمريكى، على تشكيل بيئة خصبة لنمو أفكارهم وتبلور تيارهم الفكرى والسياسى.

منطلقاتهم الفكرية

يؤمن المحافظون الجدد بدور "القوة العسكرية" كأداة أساسية لمواجهة التحديات والنزاع فى العالم، والعلاقات الدولية بالنسبة لهم تقوم على القوة، كما أن السلام الحقيقى إنما يأتى فقط نتيجة للانتصار فى الحرب وليس بالدبلوماسية أو العدالة.

وخلال السنوات الأخيرة ساند المحافظون الجدد عدداً من الأفكار التى اكتسبت رواجاً واسعاً فى واشنطن، وعلى رأس هذه الأفكار "الإيمان بأن أمريكا فرصة غير مسبوقة لإعادة صياغة النظام العالمى" نابعة من حالة الفراغ التى يمشتها العالم بعد سقوط الاتحاد السوفيتى، وهو فراغ يجب أن تملأه أمريكا من خلال الدور "الرسولى" الحتمى الذى يجب أن تضطلع به.

إذ يرى هؤلاء أن العالم يبحث عن قائد، وإن أمريكا هى حتماً هذا القائد، فسيطرة

أمريكا وسيادتها المطلقة على العالم هي مصدر الاستقرار. لذا فهم يرون أن من الطبيعي أن يتوحد الغرب وغيره من دول العالم تحت القيادة الأمريكية لإعادة تشكيل النظام العالمي الجديد.

ويكن المحافظون الجدد قدراً كبيراً من الرفض لدور المنظمات الدولية، والقانون، وجهود الحد من التسلح، وبشكل خاص يناصبون "الأمم المتحدة" العداء، حيث يرون أن القوة العسكرية يجب أن تبقى أساساً رئيساً للسياسة الخارجية.

وقد آمن الجدد بأنهم قادرون على التدخل العسكري لإعادة تشكيل الدول كالعراق وأفغانستان ولبنان وإيران، وجعلها نموذجاً لقدرة أمريكا على التدخل ومساعدة الأصدقاء والتغيير، ولهذا جرى الترويج لمبدأ السيادة الوطنية المحدودة، أو حتى إلغائها عندما تتعارض مع المصالح الإستراتيجية الأمريكية. وفتح الأمريكيون الباب لحملة عسكرية تاديبية على دول مستقلة وأعضاء في الأمم المتحدة، كما وصل بهم الحال إلى تهيش دول كبرى ذات دور أساسي وفاعل في العالم كالصين، وروسيا.

ومن بين ما يؤمن به المحافظون الجدد أن من واجبهم التعميل بعودة "المسيح" إلى الأرض، لتحقيق نبوءة الكتاب المقدس "بشن الحرب على المسلمين والاستيلاء على كل الأراضي المقدسة". وهم ينظرون بعين التطرف إلى الآخر ويرونه - أيّاً كان - عدواً يجب استئصاله.

وحول المكونات الأساسية لفكرهم، يقول (ستيفن هلبير) و(جوناثان كلارك) - مؤلفا كتاب "المحافظون الجدد والنظام العالمي" - إنها تشمل الإيمان العقدي والصراع بين "الخير" و"الشر". إذ دعا مفكرهم ليو شتراوس - الذي هاجر من ألمانيا هرباً من النازية واستقر في أمريكا - إلى بناء أمريكا كقوة كبرى تحارب الشر في العالم.

وفي مجال الاقتصاد، تبنى المحافظون الجدد "الليبرالية الجديدة" التي تستند إلى فرض (الأمركة) على نظام العولمة، وما تتضمنه من تدويل واسع على صعيد الإنتاج

والتبادل، وتداول الخدمات والمال والاتصالات والمعرفة ومنظومة القيم والأفكار. كما تبنا سياسة اجتماعية منحازة لصالح الأثرياء والشركات الرأسمالية الكبرى، على حساب مصالح الفقراء وضرائق واسعة من المجتمع.. وكانوا قد رفضوا الثورة الثقافية التي اجتاحت أمريكا في الستينيات، والتي نادت بالتعددية الثقافية وحقوق الأقليات والنساء، إذ رأى الجدد أن ذلك من شأنه أن يضعف أمريكا.

وكان الرئيس الأمريكي، جيمي كارتر، قد نبه في كتابه: "القيم الأمريكية المعرضة للخطر" إلى أن المحافظين الجدد - الذين روجوا لفكرة أنه إما أن تكون معنا أو أن تصبح ضدنا - أصبحوا بفلسفتهم الإمبريالية يشكلون أكبر خطر على سمعة الولايات المتحدة في العالم.

القضايا الأخلاقية

تمثل "القضايا الأخلاقية" نظرية المحافظين الجدد في التعامل مع العالم من حولهم. إذ تعنى الفكرة باختصار: إغراق الجماهير بالقضايا كي تتمكن الصفوة من ضمان استقرار وضعها.

وطبقاً لما يذكره المتخصصون بفكر ليو شتراوس - أحد أساطين المحافظين الجدد وفيلسوفهم - فإن السلطة الحقيقية لا يمكن ممارستها إذا ما بقي المرء في حالة ثبات، أو حافظ على الوضع الراهن، بل على العكس، ينبغي العمل على تدمير كل أشكال المقاومة.

وهي أيضاً فكرة تحويل مناطق واسعة من العالم إلى مناطق غير مأهولة، فبالنسبة لمنظري "القضايا البناءة" يجب سفك الدماء من أجل الوصول إلى نظام جديد في المناطق الغنية بالثروات. وهي فكرة تم تكريسها باعتبارها سياسة أمن قومي أمريكية من قبل مستشار الأمن القومي السابق هنري كيسنجر في عهد الرئيس ريتشارد نيكسون. وقدم كيسنجر دراسة تم اعتمادها عام ١٩٧٤ من قبل الإدارة الأمريكية بعنوان "مذكرة الأمن القومي ٢٠٠" (NSM 200)، ومن أهم افتراضاتها وتوصياتها هي أن النمو السكاني خاصة في دول العالم الثالث يعتبر تهديداً للأمن القومي الأمريكي

وحلفاء واشنطن الفريبيين، لأن تزايد أعداد السكان في تلك البلاد سيؤدى إلى استهلاك الثروات المعدنية هناك من قبل تلك الشعوب ؛ إما عن طريق التطور التكنولوجى أو بسبب الحاجة إلى إعالة الأعداد المتزايدة من السكان.

وتفترض تلك الدراسة أن هذا الأمر يعتبر تهديدا للأمن القومى الأمريكى وحليفاتها، من الدول الصناعية التى تعتمد فى بقائها وتطورها مستقبلاً على تلك الموارد المعدنية فى تلك البلدان من العالم الثالث. وذكرت تلك المذكرة مجموعة من البلدان الأفريقية والآسيوية من بينها مصر التى أوصت بتحديد النسل فيها.

ومن بين ما تقوم عليه الفكرة : استبدال الدول القائمة بدويلات أصغر تتسم بأحادية الطابع العرقى، وتحييد هذه الدويلات بجعل كل واحدة منها ضد الأخرى على نحو مستمر. وبعبارة أخرى، فالفكرة تتضمن تدمير الدول القائمة من أجل إنشاء كيانات ضعيفة يسهل توجيهها والتلاعب بثرواتها ومقدراتها.

ولإعطاء صورة واضحة عن نوايا ومخططات المحافظين الجدد نشرت مجلة "إكزكتف إنتلجنس ريفيو" تقريراً حول اجتماع عقد فى واشنطن لمناقشة "الحرب العالمية الرابعة" حضره وتحدث فيه أبرز منظرى المحافظين الجدد وأكثرهم نفوذاً داخل الإدارة الأمريكية وفى مراكز صنع السياسة فى واشنطن.

إذ شارك ثلاثة من كبار مسئولى إدارة بوش - تشينى، وهم نائب وزير الدفاع الأسبق بول وولفويتز وأثنان من دعاة الحرب من المحافظين الجدد فى مجلس سياسات الدفاع (Defense Policy Board) جيمس وولزى وإليوت كوهين، شاركوا جميعاً فى الاجتماع الذى عقد برعاية إحدى أكثر الجماعات الصليبية المحافظة الجديدة تطرفاً، وهى "لجنة الخطر الداهم" (Committee on Present Danger) وهذه هى نفس المنظمة التى كانت ناشطة أثناء الحرب الباردة والتى طالبت بقصف كوريا الشمالية بالقنابل الذرية فى عام ١٩٤٩، ومؤسسة الدفاع عن الديمقراطيات (Foundation for the Defense of Democracies). وكلا المنظمتان أعلنتا من قبل أن "الإسلام" هو العدو العالمى الجديد الذى يجب أن تتم هزيمته من خلال ما يسمونه الحرب العالمية الرابعة

۱۰۰
 ۱۰۱
 ۱۰۲
 ۱۰۳
 ۱۰۴
 ۱۰۵
 ۱۰۶
 ۱۰۷
 ۱۰۸
 ۱۰۹
 ۱۱۰
 ۱۱۱
 ۱۱۲
 ۱۱۳
 ۱۱۴
 ۱۱۵
 ۱۱۶
 ۱۱۷
 ۱۱۸
 ۱۱۹
 ۱۲۰
 ۱۲۱
 ۱۲۲
 ۱۲۳
 ۱۲۴
 ۱۲۵
 ۱۲۶
 ۱۲۷
 ۱۲۸
 ۱۲۹
 ۱۳۰
 ۱۳۱
 ۱۳۲
 ۱۳۳
 ۱۳۴
 ۱۳۵
 ۱۳۶
 ۱۳۷
 ۱۳۸
 ۱۳۹
 ۱۴۰
 ۱۴۱
 ۱۴۲
 ۱۴۳
 ۱۴۴
 ۱۴۵
 ۱۴۶
 ۱۴۷
 ۱۴۸
 ۱۴۹
 ۱۵۰
 ۱۵۱
 ۱۵۲
 ۱۵۳
 ۱۵۴
 ۱۵۵
 ۱۵۶
 ۱۵۷
 ۱۵۸
 ۱۵۹
 ۱۶۰
 ۱۶۱
 ۱۶۲
 ۱۶۳
 ۱۶۴
 ۱۶۵
 ۱۶۶
 ۱۶۷
 ۱۶۸
 ۱۶۹
 ۱۷۰
 ۱۷۱
 ۱۷۲
 ۱۷۳
 ۱۷۴
 ۱۷۵
 ۱۷۶
 ۱۷۷
 ۱۷۸
 ۱۷۹
 ۱۸۰
 ۱۸۱
 ۱۸۲
 ۱۸۳
 ۱۸۴
 ۱۸۵
 ۱۸۶
 ۱۸۷
 ۱۸۸
 ۱۸۹
 ۱۹۰
 ۱۹۱
 ۱۹۲
 ۱۹۳
 ۱۹۴
 ۱۹۵
 ۱۹۶
 ۱۹۷
 ۱۹۸
 ۱۹۹
 ۲۰۰
 ۲۰۱
 ۲۰۲
 ۲۰۳
 ۲۰۴
 ۲۰۵
 ۲۰۶
 ۲۰۷
 ۲۰۸
 ۲۰۹
 ۲۱۰
 ۲۱۱
 ۲۱۲
 ۲۱۳
 ۲۱۴
 ۲۱۵
 ۲۱۶
 ۲۱۷
 ۲۱۸
 ۲۱۹
 ۲۲۰
 ۲۲۱
 ۲۲۲
 ۲۲۳
 ۲۲۴
 ۲۲۵
 ۲۲۶
 ۲۲۷
 ۲۲۸
 ۲۲۹
 ۲۳۰
 ۲۳۱
 ۲۳۲
 ۲۳۳
 ۲۳۴
 ۲۳۵
 ۲۳۶
 ۲۳۷
 ۲۳۸
 ۲۳۹
 ۲۴۰
 ۲۴۱
 ۲۴۲
 ۲۴۳
 ۲۴۴
 ۲۴۵
 ۲۴۶
 ۲۴۷
 ۲۴۸
 ۲۴۹
 ۲۵۰
 ۲۵۱
 ۲۵۲
 ۲۵۳
 ۲۵۴
 ۲۵۵
 ۲۵۶
 ۲۵۷
 ۲۵۸
 ۲۵۹
 ۲۶۰
 ۲۶۱
 ۲۶۲
 ۲۶۳
 ۲۶۴
 ۲۶۵
 ۲۶۶
 ۲۶۷
 ۲۶۸
 ۲۶۹
 ۲۷۰
 ۲۷۱
 ۲۷۲
 ۲۷۳
 ۲۷۴
 ۲۷۵
 ۲۷۶
 ۲۷۷
 ۲۷۸
 ۲۷۹
 ۲۸۰
 ۲۸۱
 ۲۸۲
 ۲۸۳
 ۲۸۴
 ۲۸۵
 ۲۸۶
 ۲۸۷
 ۲۸۸
 ۲۸۹
 ۲۹۰
 ۲۹۱
 ۲۹۲
 ۲۹۳
 ۲۹۴
 ۲۹۵
 ۲۹۶
 ۲۹۷
 ۲۹۸
 ۲۹۹
 ۳۰۰
 ۳۰۱
 ۳۰۲
 ۳۰۳
 ۳۰۴
 ۳۰۵
 ۳۰۶
 ۳۰۷
 ۳۰۸
 ۳۰۹
 ۳۱۰
 ۳۱۱
 ۳۱۲
 ۳۱۳
 ۳۱۴
 ۳۱۵
 ۳۱۶
 ۳۱۷
 ۳۱۸
 ۳۱۹
 ۳۲۰
 ۳۲۱
 ۳۲۲
 ۳۲۳
 ۳۲۴
 ۳۲۵
 ۳۲۶
 ۳۲۷
 ۳۲۸
 ۳۲۹
 ۳۳۰
 ۳۳۱
 ۳۳۲
 ۳۳۳
 ۳۳۴
 ۳۳۵
 ۳۳۶
 ۳۳۷
 ۳۳۸
 ۳۳۹
 ۳۴۰
 ۳۴۱
 ۳۴۲
 ۳۴۳
 ۳۴۴
 ۳۴۵
 ۳۴۶
 ۳۴۷
 ۳۴۸
 ۳۴۹
 ۳۵۰
 ۳۵۱
 ۳۵۲
 ۳۵۳
 ۳۵۴
 ۳۵۵
 ۳۵۶
 ۳۵۷
 ۳۵۸
 ۳۵۹
 ۳۶۰
 ۳۶۱
 ۳۶۲
 ۳۶۳
 ۳۶۴
 ۳۶۵
 ۳۶۶
 ۳۶۷
 ۳۶۸
 ۳۶۹
 ۳۷۰
 ۳۷۱
 ۳۷۲
 ۳۷۳
 ۳۷۴
 ۳۷۵
 ۳۷۶
 ۳۷۷
 ۳۷۸
 ۳۷۹
 ۳۸۰
 ۳۸۱
 ۳۸۲
 ۳۸۳
 ۳۸۴
 ۳۸۵
 ۳۸۶
 ۳۸۷
 ۳۸۸
 ۳۸۹
 ۳۹۰
 ۳۹۱
 ۳۹۲
 ۳۹۳
 ۳۹۴
 ۳۹۵
 ۳۹۶
 ۳۹۷
 ۳۹۸
 ۳۹۹
 ۴۰۰
 ۴۰۱
 ۴۰۲
 ۴۰۳
 ۴۰۴
 ۴۰۵
 ۴۰۶
 ۴۰۷
 ۴۰۸
 ۴۰۹
 ۴۱۰
 ۴۱۱
 ۴۱۲
 ۴۱۳
 ۴۱۴
 ۴۱۵
 ۴۱۶
 ۴۱۷
 ۴۱۸
 ۴۱۹
 ۴۲۰
 ۴۲۱
 ۴۲۲
 ۴۲۳
 ۴۲۴
 ۴۲۵
 ۴۲۶
 ۴۲۷
 ۴۲۸
 ۴۲۹
 ۴۳۰
 ۴۳۱
 ۴۳۲
 ۴۳۳
 ۴۳۴
 ۴۳۵
 ۴۳۶
 ۴۳۷
 ۴۳۸
 ۴۳۹
 ۴۴۰
 ۴۴۱
 ۴۴۲
 ۴۴۳
 ۴۴۴
 ۴۴۵
 ۴۴۶
 ۴۴۷
 ۴۴۸
 ۴۴۹
 ۴۵۰
 ۴۵۱
 ۴۵۲
 ۴۵۳
 ۴۵۴
 ۴۵۵
 ۴۵۶
 ۴۵۷
 ۴۵۸
 ۴۵۹
 ۴۶۰
 ۴۶۱
 ۴۶۲
 ۴۶۳
 ۴۶۴
 ۴۶۵
 ۴۶۶
 ۴۶۷
 ۴۶۸
 ۴۶۹
 ۴۷۰
 ۴۷۱

التي بدأت وتجرى الآن حسب وجهة نظرهم.

والمسألة التي تم عرضها خلال هذا الاجتماع هي أنه إلى أن يتم القضاء على جميع "الدول الراحية للإرهاب" إما عن طريق الحروب أو الانقلابات أو الأشكال الأخرى من تغيير الأنظمة، فإن الولايات المتحدة ستكون في حرب أبدية، وأهم عامل في هذه المرحلة "الإرادة لخوض القتال". وفي خطابات عديدة سابقة وصف كل من (جيمس وولزى) الذي شغل منصب مدير وكالة الاستخبارات المركزية لفترة قصيرة و(اليوت كوهين) وصفا هذه الحرب بوصف "حرب المائة عام".

وكان المتحدث الرئيس في اجتماع "لجنة الخطر الداهم" هو نورمان بودهوريتز (Norman Podhoretz) - الشيوعي السابق الذي انقلب إلى محارب إمبريالى ومؤسس مجموعة المحافظين الجدد - وشغل صهر بودهوريتز وهو (إليوت أبرامز) منصب مستشار الأمن القومي لشئون الشرق الأوسط في إدارة بوش. البروفيسور بودهوريتز وهو من الجيل الأول من الشتراوسيين، هو الذى سمي الاجتماع بهذا الاسم بناء على مقالة نشرها في مجلة "كومينترى" (Commentary) التى تعتبر من أهم مطبوعات المحافظين الجدد ويشغل بودهوريتز نفسه رئاسة تحريرها.

وتبرهن أجنحة "لجنة الخطر الداهم" - حسب مراقبين - على ما أشار إليه (ليندون لاروش) المرشح الديمقراطى السابق للرئاسة الذى يراس "لجنة لاروش" للمعمل السياسى. وفى مذكرة إستراتيجية كتبها، يقول لاروش: إن هدف الأفة المسماة إدارة بوش تشينى هو إزالة كل ما يتعلق بوجود الدولة القومية ذات السيادة، وذلك باستخدام أداة "الحروب الأبدية". وكتب لاروش مخاطبا بشكل خاص أولئك الذين يعتقدون فى دول العالم وداخل الولايات المتحدة أن بمقدورهم العيش مع فترة رئاسية جديدة لبوش وتشينى، ما يلى: "إن هدفهم هو ليس إخضاع مناطق معينة سياسيا كمستعمرات، بل إزالة جميع المعوقات التى تقف فى طريق النهب الحر للكوكب (الأرض) ككل. إن نيتهم هي ليست فتح أراضى جديدة، بل تحقيق إزالة كل بقايا السيادة القومية وتقليص عدد سكان العالم من البشر إلى أقل من مليار نسمة... فهدفهم فى أفغانستان والعراق على سبيل المثال هو ليس السيطرة على هذين البلدين، بل إزالة أمم قومية عن طريق إطلاق

قوى الفوضى والدمار. هكذا سيكون من قبيل خداع النفس بشكل كبير اعتبار فشل العمليات العسكرية في العراق كفضل لنية إدارة بوش. هنيئتها هي التدمير الذاتي لآخر بقايا سيادة الدولة القومية، وهذا ما يحققون فيه نجاحات كبيرة في الوقت الراهن.

وتحت عنوان: "كسر نظيف: استراتيجية جديدة لتأمين مملكة (إسرائيل)" تمت صياغة وثيقة في العام ١٩٩٦، على يد مجموعة من مفكرى المحافظين الجدد، تضمنت مشروعاً استعمارياً واسماً للشرق الأوسط، وقد هيئت من قبل فريق من الخبراء جمعهم ريتشارد بيرل ثم أعطيت لبنيامين نتنياهو. وباختصار فإنها تمثل أفكار وأطروحات الصهيوني فلاديمير جابوتينسكى، إذ دعت الوثيقة إلى: إلغاء اتفاقيات أوسلو للسلام، والقضاء على الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات، وضم الأراضي الفلسطينية، إلى جانب الإطاحة بصدام حسين لزعزعة استقرار سوريا ولبنان في سلسلة من الأحداث. وتفكيك العراق وإقامة دولة فلسطينية على أراضيه. واستخدام إسرائيل كقاعدة تكميلية لبرنامج حرب النجوم الأمريكى.

تحالفات المحافظين الجدد

التقت أجندة المحافظين الجدد - منذ ظهورهم - مع اليمين الأمريكى والتيار المسيحى المتطرف. إذ تحالفوا مع "الجناح اليميني" فى الحزب الجمهورى، وجماعات "الأصولية المسيحية" القريبة جداً من اللوبيات اليهودية، وهو تحالف اعتمد عليه المحافظون كثيراً فى الوصول إلى السلطة.

وكان الرئيس الأمريكى الأسبق، جيمى كارتر، قد أشار فى كتابه إلى أن ما يزيد الطين بلة هو توافق أجندة المحافظين الجدد مع أجندة متطرفة أخرى، هى أجندة الأصوليين فى اليمين المسيحى الأمريكى.

ونظراً لأن المحافظين الجدد هم فى الأساس تيار فكرى سياسى، لا يملك قواعد جماهيرية انتخابية حقيقية، فقد اعتمدوا على الجمهوريين، والجماعات اليمينية،

والناخبين الإنجليكيين، وأثرياء الجنوب الأمريكى، وقوى المحافظين التقليديين بولايات الجنوب والغرب الأمريكى.

ومن خلال تعاون اليمين الأمريكى مع الجدد فى بناء شبكة واسعة من الجماعات الفكرية النشطة، نمت تيار المحافظين الجدد داخل الجامعات والمؤسسات الفكرية والبحثة الأمريكية.

إذ لم يكن الجدد ليسيظروا على مقاليد صنع السياسة بأمريكا دون موافقة ضمنية من قوى اليمين. خاصة وأن تلك القوى كانت تملك أفكاراً بعضها أكثر تشدداً من بعض أفكار المحافظين أنفسهم. حيث ينطلق (المسيحيون المتدينون) فى رؤيتهم للسياسة الخارجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط والعالم، من منطلقات دينية خطيرة، تؤمن بأن العالم وأمريكا يسيران بسرعة إلى نقطة صدامية تمثل نهاية العالم، من خلال حرب تأتى على الأخضر واليابس، يكون مركزها الشرق الأوسط، ويقودها العالم كله ضد أمريكا وحلفائها وعلى رأسهم إسرائيل.

أما (الإنجليكيون) فهم لا يثقون فى المنظمات الدولية، ولا يؤمنون بقضايا مثل الحد من التسلح أو تخفيض النفقات العسكرية الأمريكية، لأن أمريكا بالنسبة لهم تستمد لحرب طاحنة لا راد لها.

أما النخب الأمريكية (المحافظة التقليدية) فهى انصالية بطبيعتها لا تثق فى المنظمات الدولية أو فى العالم الخارجى، ولا تؤمن إلا بالقوة الأمريكية وزيادتها المستمرة وبناء المزيد منها. ويشكل عام يمثل بقاء تلك المعتقدات والنزعات ضماناً لا يستهان بها لاستمرار سياسات وأفكار المحافظين الجدد.

وفى كتابهما "أمة اليمين: قوة المحافظين فى أمريكا" يركز الكاتبان (إدريان ولديريج) و(جون مايكل ثويت) على أن تيار المحافظين الجدد هو "تيار ظهر فى أمريكا ليرضى نزعات أطراف مختلفة من اليمين تشكل نسيج الأمة الأمريكية من الناحية السياسية" ويضيفان أن اليمين الأمريكى ينقسم من حيث الأداء الوظيفى إلى مجموعتين :

أولاً: "مراكز الأبحاث اليمينية" التى تركز على إصدار الدراسات التى تنطوى على أفكار وأطروحات لإدارة السياسة العامة فى الولايات المتحدة، والسعى لإقناع الإدارة



والكونجرس بتبنى هذه السياسات حيث تتزعم هذه المجموعات مراكز بحثية مثل معهد "أمريكان إنتربرايز" ومؤسسة "هيريتدج" ومعهد "كاتو" للأبحاث العامة. ثانياً: "المجموعات اليمينية على المستوى الجماهيري" ومهمتها حشد أصوات الناخبين اليمينيين وربطها بالقضايا والسياسات والترويج لسانة معبرين عن مصالح اليمين الأمريكي، ويمثل هذا التيار منظمات مثل التحالف الأمريكي المحافظ والتحالف المسيحي.

الإعلام وسيلة المحافظين

عزز المحافظون الجدد من معتقداتهم ووجودهم في المجتمع الأمريكي من خلال: التغلغل بين اليمينيين البروتستانت، والاستفادة من محطات التلفزة مثل "فوكس نيوز"، والبرامج الحوارية التي كانت ولا زالت تعد من معالم الحياة السياسية الأمريكية منذ ثلاثينيات القرن العشرين.

وطوال عقد التسعينيات شرعت هذه البرامج الإذاعية في بناء قواعد أكبر من المستمعين، وبناء على هذا أكتشاف الجديد بدأت شبكات التلفزة في توفير مزيد من المناير للمحافظين الجدد لطرح أفكارهم، لتصبح مع مرور الوقت بمثابة كفة التوازن في مواجهة الصحف وشبكات التلفزيون في المدن الكبرى ومحطات الإذاعة التي تميل إلى التوجهات الليبرالية.

كما اتخذ المحافظون الجدد عدداً من المناير الصحفية المهمة وسيلة لنشر توجهاتهم، مثل مجلة "كومنتاري" وهي مجلة الجيل الأول من المحافظين، بدأت بالصدور عام ١٩٤٥ في نيويورك عن اللجنة اليهودية الأمريكية، وكانت موجهة بالأساس إلى النخبة المثقفة.

وأيضاً مجلة "ويكلي ستاندارد" الأسبوعية لسان حال اليمين الصهيوني الأمريكي، مجلة الجيل الثاني من المحافظين، الممولة من قبل روبرت موردوخ إمبراطور الإعلام المعروف وصاحب الميول اليمينية المتطرفة، أسسها ويليام كريستول نجل إيرفينج كريستول، وقد تميزت مقالاتها ورسوماتها بنزعة أكثر جماهيرية، ومكتبها لا يبعد كثيراً عن البيت الأبيض بالعاصمة الأمريكية واشنطن.

كما تظهر كتابات للمحافظين الجدد باستمرار في مجلة "فورين افاريز" المعروفة، ويكتبون بشكل دوري في ثلاث من أكبر الدوريات الأمريكية، حيث يكتب (ماكس باوت) لصحيفة "لوس انجلوس تايمز"، ويكتب (دايفيد بروكس) لـ "نيويورك تايمز"، ويكتب (روبرت كاجن) و(تشارلز كروتهمز) لـ "الواشنطن بوست"، هذا إضافة إلى سيطرتهم على مقالات الرأي بصحيفة "وال ستريت جورنال".

"الفلسطينيون لهم تاريخ كراود في البلاء العظيم للإرهاب في عصرنا الحاضر. ومازالوا نجوماً في سماء الإرهاب" كانت تلك عبارة (مارتن بيرتز) التي أوردها في مقال له بمجلة "نيو ريبلك".

وهي إحدى خمس مجلات تعتبر قلاعاً للفكر اليهودي المتطرف في أمريكا. أما المجلات الأربع الأخرى فهي: "مومنت" و"ناشيونال ريفيو" و"كومنتري" و"يكلي ستاندر". وهذه المجلات رغم مظهرها المتواضع إلا أنها من أخطر المنابر التي تنشر الأفكار المحافظة المعادية للعرب والمسلمين. طالما أنهم لم يصلوا إلى حالة الاستسلام التام. وانعدام الوزن في مواجهة إسرائيل.

وخلال إدارة جورج دبليو بوش الحالية في البيت الأبيض استطاع الجدد السيطرة على أكبر وأهم مؤسسات ومراكز البحث وهيئات التحرير في الصحف الهامة. وقد تبلورت وجهات نظرهم ومواقفهم قبل أن يصلوا إلى السلطة، من خلال مراكز الأبحاث اليمينية التي تضمنت أطروحاتهم حول السياسة العامة في الولايات المتحدة، والسعي لإقناع الإدارة الأمريكية والكونجرس بهذه الفلسفة الجديدة، التي تتبنى التدخل الاقتصادي المنفرد في الشؤون الخارجية، والضربات الاستباقية.

وقد أضافت مراكز الدراسات زخماً كبيراً لمواقف المحافظين، مثل معهد "هدسون"، ومعهد "أمريكان إنتربرايز" للأبحاث، ومعهد "المشروع الأمريكي" و"مشروع العقد الأمريكي الجديد" ومعهد "ميمري" وهو الأداة الدعائية التي أسستها ميراف وورمسر مع عميل الاستخبارات الإسرائيلية السابق العقيد ييجال كارمون. وهو المعهد الذي وصفه المسؤل السابق في وكالة الاستخبارات الأمريكية (فينسينت كانيسترار) بالقول



إن "المعهد يعمل كأداة دعائية من وجهة نظر ليكودية متطرفة".

ويُعدّ معهد "المشروع الأمريكي" من أقرب معاهد البحوث السياسية للإدارة الأمريكية الحالية. فللمعهد علاقة وثيقة بنائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني الذي تشرف زوجته على المعهد مباشرة. ويتوفّر المعهد على عشرات من الباحثين المتفرّغين وغير المتفرّغين من كبار أساتذة الجامعات الأمريكية؛ ويضمّ مجلسه الإداري ومجلسه للتوجيه الأكاديمي خمسة وثلاثين عضواً من الشخصيات المؤثرة في اقتصاد الولايات المتحدة وسياساتها مثل رئيس بنك "تشيس مانهاتن" والمدير العام لشركة "تكساس إنسترومنتس" ورئيس شركة "كوكس" للبترول والغاز، وعدد من كبار أساتذة العلوم السياسية مثل صامويل هنتنجتون أستاذ علم الحكومة في جامعة هارفرد وصاحب نظرية صدام الحضارات. ونظراً لأن هذا المعهد هو وكر لفكري المحافظين الجدد المقربين من إدارة بوش، فإنه يمكن القول إن بحوث هذا المعهد تمثل توجهات الحكومة الأمريكية، أو أن سياساتها تتأثر بشكل كبير وبحوث هذا المعهد.

المحافظون في معية بوش الابن

وفي معية جورج دبليو بوش تحقق حلم المحافظين الجدد في العثور على الحاكم الذي يتبنى أفكارهم، فرغم نشاطهم الدؤوب وسط الدوائر السياسية المؤثرة في الولايات المتحدة، فإن الجدد لم يجدوا فرصتهم المواتية لتأخذ بناصية القرار السياسي، بصورة واضحة، إلا في عهد وإدارة بوش الابن، الذي ضم إلى زميرته أفراداً مؤثرين من هذه المجموعة النشطة، وأوكل إليهم مناصب في مواقع سيادية مثل وزارات الدفاع والعُدل والبيت الأبيض، وفي مواقع أخرى لها تأثيرها المباشر بالسياسات الخارجية والدفاعية والاجتماعية في الولايات المتحدة.

وقد اعتمد الرئيس الجمهوري على عشرات من الجدد في إدارته، وهنا نفسه باختيارهم، في حين ظل الباقون موجودين في أماكن عدة كمستشارين للحكومة أو في مناصب أممية ومواقع إعلامية واقتصادية متقدمة. وبالرغم من أن الرئيس بوش لا ينتهي شخصياً إلى المحافظين الجدد، إلا أنه تأثر بهم في سياساته، ومنذ أن قدم هؤلاء إلى البيت الأبيض في معيته استطاعوا أن يجذبوا - بتوجهاتهم السياسية

والفكرية - اهتمام الدوائر الإعلامية والسياسية في العالم أجمع، وأصبحوا القوة الأساسية المؤثرة في الإدارة والكونغرس.

يقول المنتقدون لبوش وإدارته من المحافظين: إن الرئيس الأمريكي لم يأخذ القرارات، لأن آلية الحكومة التي يديرها بالاسم كانت هي التي تديره. وهذا الاحتضان الرئاسي جعل من وجود مجموعة (الجدد) السياسي والتنفيذي ملموساً ومحسوساً، كما أعطى أفكارهم وفلسفتهم السياسية متنفساً أخذ يشكل تحدياً للنسق التقليدي المألوف في إدارة المجتمع السياسي الأمريكي. وقد اعتبر هذا التحدي الذي أخذت تشكله المجموعة للمؤسسة السياسية التقليدية على أنه "اختطاف" وقع للسياسة الخارجية الأمريكية على أيدي هذه الفئة.

هفي كتابه "أين أخطأ اليمين؟" يتهم (بات بيوكانن) مجموعة المحافظين الجدد بأنهم اختطفوا السياسة الخارجية في عهد بوش وغيروا أفكاره، من انتقاده لفكرة أن تلعب الولايات المتحدة دور الشرطي في العالم، إلى إتباع سياسة شن الحروب الاستباقية الإجهاضية لدعم إسرائيل، ومن أجل نشر (الأمركة) في العالمين العربي والإسلامي وإعادة تشكيلهما.

وعلى رأس إدارة جورج بوش، وجد صقر صقور المحافظين الجدد (ديك شيني) في منصب نائب الرئيس، وأيضاً الصقر (دونالد رامسفيلد) - وزير الدفاع السابق - والمعروف أن تشيني ورامسفيلد أكثر تأثيراً بدرجة كبيرة من أهم رموز المحافظين الجدد، فكتاب مثل "حالة إنكار" لبوب إدوارد، يركز بالأساس على رامسفيلد ومن خلفه تشيني كأكبر المسؤولين عن مازق أمريكا في العراق، ويكاد لا يتناول المحافظين الجدد إلا عابراً.

وهناك أيضاً (بول وولفويتز) الديمقراطي السابق ونائب وزير الدفاع وأكثر المتحمسين لاحتلال العراق، و(ريتشارد بيرل) الملقب بـ "أمير الظلام" منظر احتلال العراق وصاحب نظرية استخدام القوة الأمريكية لتدمير أعداء إسرائيل، و(دوجلاس فيث) وكيل وزارة الدفاع للشئون السياسية الذي أقام مكتب الخطط الخاصة الذي أنشأه بالتلاعب

ويشكل (بول وولفويتز) و(ريتشارد بيرل) و(دوجلاس فيث) الثالث الجهنمي الذي سوغ للإدارة فكرة خداع الشعب الأمريكي بخطورة التسليح العراقي على الولايات المتحدة وشعبها، وجبرها إلى حرب مكلفة بشرياً ومادياً وسياسياً وإنسانياً. وهو الثالث الذي ما زال يسعى من وراء ستار إلى جرجرة أمريكا نحو المواجهة مع إيران.

أما (جون بولتون) وما أدراك ما بولتون مندوب أمريكا السابق بالأمم المتحدة، في الوقت الذي كان ينفي فيه وجود تلك المنظمة إلا إذا كانت أداة للسياسة الأمريكية، ولا يرى مانعاً من "تدمير عشرة طوابق من طوابق مبنائها" في نيويورك. ويقول جيمس كارتر في كتابه "القيم الأمريكية المعرضة للخطر" : إن اختيار بوش لجون بولتون كسفير للولايات في الأمم المتحدة يعكس تبني حكومته لفلسفة المحافظين الجدد والتي تعتمد على تبني التدخل الاقتصادي المنفرد في الشؤون الخارجية لإعلاء شأن الولايات المتحدة ومصالحها السياسية والعسكرية، وخاصة في منطقة الشرق الأوسط. ومن الجدير هنا بالذكر، أن جون بولتون ينتمي إلى صفوف المحافظين وكان عضواً في إدارة المجلس الاستشاري لـ "المعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي" وبعض أفراد أسرته ومنهم شقيقته يقيمون في إسرائيل، وقد عرف عن جون بولتون احتقاره للشرعية والقوانين الدولية. نشرت له صحيفة "وول ستريت جورنال" مقالاً عام ١٩٩٧، جاء فيه "إن المعاهدات الدولية التي توقعها الولايات المتحدة لا تعتبر قوانين ملزمة، واجبة الاحترام، ولكن كضرورة سياسية لا ضرر من التحلل منها مع تغير الظروف".

إسرائيل في وصي الجدد

تعد السمة المميزة التي ظلت تجمع المحافظين الجدد هي حبهم ودعمهم وولاؤهم لإسرائيل... واتهامهم من يخالف مواقفهم في تأييد الدولة العبرية بالعداء للسامية... الذي يعني - في رأسهم - كراهية اليهود بسبب دينهم أو ثقافتهم أو أصلهم... المحافظون الجدد الذين نابذوا العالم كله تقريباً بالعداء استثنوا منه إسرائيل الدولة الصهيونية التي تمحور حولها تفكيرهم، معتبرين أن المصالح الأمريكية والإسرائيلية يجب أن تكون متماثلة.

أجهد المحافظون الجدد عقولهم فى تلقيق الدلائل لإثبات أن ما هو فى مصلحة إسرائيل هو فى مصلحة أمريكا... وذلك لإخفاء مشاعرهم الحقيقية التى تقدم الولاء لإسرائيل على الولاء للولايات المتحدة. ويخلص بات بيوكانن (وهو من المحافظين التقليديين) فى كتابه "أين أخطأ اليمين؟" إلى أن أيديولوجية المحافظين الجدد تنطلق من مبدأ أساسى وهو تطابق مصالح أمريكا مع إسرائيل، وبالتالي فهم يدفعون الولايات المتحدة إلى محاربة أعداء الدولة العبرية.. وقد دفعوا أمريكا إلى شن الحرب على العراق وكانت - حسب رأى بيوكانن - "أكبر خطأ استراتيجى أمريكى خلال أربعين عاماً".

كتب ستانلى هوفمان - البروفسور فى جامعة هارفارد - يقول -: توجد مجموعة غير مترابطة من أصدقاء إسرائيل تؤمن بتطابق المصالح بين الدولة اليهودية والولايات المتحدة، وينظر هؤلاء إلى السياسة الخارجية الأمريكية من عدسة اهتمامهم الكبير -: هل هى صالحة بالنسبة لإسرائيل أم سيئة؟. ويمضى هوفمان قائلاً -: منذ إقامة إسرائيل عام 1948 - لم يكن هؤلاء المفكرون على علاقة طيبة بوزارة الخارجية (الأمريكية) على الإطلاق... ولكنهم الآن مستحكمون فى البنتاجون.

وفى مقال نشره (دانيال بايبس) - مدير "ميدل إيست فورم" - بمجلة "كومنترى" المحافظة التى تصدرها اللجنة اليهودية الأمريكية، تحت عنوان "هل تحتاج إسرائيل إلى خطة؟" يرى الكاتب المحافظ أن الحل الوحيد للصراع الفلسطينى، الإسرائيلى، يتمثل فى أن يتخلى العرب عن حلم محو الدولة اليهودية، ولذلك يؤكد بايبس - بلا تردد - أن الصراع لن ينتهى لا بالمفاوضات ولا بالسور الواقى... وإنما بقبول أحد الطرفين بالهزيمة.. أما الوصفة التى يضعها لبلوغ هذه الحالة فهى أن ما يساعدنا على تغيير موقف الفلسطينيين هو الردع الإسرائيلى... بالإبقاء على حضور عسكري قوى وتهديد جدى باستخدام القوة، إذا تعرضنا للاعتداء.. وتأتى خطوة هذا المقال من عرضه للأفكار الصهيونية دون أن تشوبها المراوغة الدبلوماسية... أو يموهها طلاء العلاقات العامة..



وقد ولد صعود السياسة الخارجية المواليين لإسرائيل - من المحافظين الجدد - مراكزهم بقوة داخل إدارة جورج بوش الابن، فتمكنوا بمساعدة مؤسسات الأبحاث اليمينية من رسم سياسة أمريكا الخارجية - وخصوصاً في الشرق الأوسط - بما تقتضيه المصالح الصهيونية. ولقد تعلّم جنرالات إسرائيل والولايات المتحدة كيف يتعرفون على بعضهم البعض، وذلك بفضل جهود المحافظين الجدد واللقاءات المتبادلة التي ينظمها "المعهد اليهودي لشئون الأمن القومي" (JINSA) وهو مؤسسة تفرض على كبار العاملين فيها متابعة كافة الحلقات الدراسية والندوات المتعلقة بأفكار وأطروحات فيلسوف المحافظين ليو شتراوس.

العالم الإسلامي في أجندة الجدد

التركيز على العالم الإسلامي له جذوره العقائدية التي يبنى عليها المحافظون الجدد منطلقاتهم الجديدة التي تتناسب وعالم ما بعد الحادى عشر من سبتمبر. وذلك ضمن أهداف إستراتيجية وأسباب عقائدية وسياسية، من بينها الحفاظ على بقاء إسرائيل، ووجودها كقوة مهيمنة ضمن المجال الحيوى للمنطقة العربية الإسلامية برمتها.

فبعد الهجوم الذي استهدف برجى التجارة في نيويورك أعلن جورج بوش مباشرة أنها "حرب صليبية"، ولم تكن زلة لسان - مثلما قالوا - بل هي إستراتيجية مؤصلة سلفاً، بدأت بالحرب النفسية ضد العرب والمسلمين، من خلال الحملات ضد الإسلام والعروبة، ثم الحرب الإعلامية والثقافية ضد ثقافتهم ومناهجهم التربوية، ثم الحرب العسكرية باحتلال قسماً من بلدانهم، ثم بواذر الحرب الدينية والحضارية التي يروجون لها الآن.

ويعتقد المحافظون الجدد أن العالم الإسلامي عموماً والشرق الأوسط خصوصاً، هما نقطة انطلاق أمريكا في سياستها لإعادة بناء النظام العالمى الجديد. إذ يربط الجدد بين النازية، والشيوعية، والحركات الإسلامية، وهو ما تجلّى في خطاب جورج بوش، حين يربط بشكل تعسقى ومجرد بين هتلر ولينين وحماس وحزب الله وما يصفه بـ (الإسلام الفاشى) في حزمة واحدة.

يرى (إيليو كوهين) أحد أكثر أكاديمي المحافظين الجدد تأثيراً والذي بدأ نجمه يسطع داخل الإدارة الأمريكية بعدما عينته وزيرة الخارجية كوندليزا رايس مستشاراً لها. يرى كوهين أن العالم يعيش الآن حرياً عالمية رابعة ضد العالم الإسلامي.

فهم يتهمون ديناً كاملاً بأنه يحرض على العنف ويخلق جواً ثقافياً يقود إلى الإرهاب، ومن ثم يؤمنون بأن الخطر الأساسي الذي يهدد أمريكا هو خطر الإرهاب الذي تقوم به جماعات مسلمة بالأساس. يقول ريتشارد بيرل: "إن السياسة الوحيدة الممكنة للغرب وللولايات المتحدة، في كل حال، هي سياسة المواجهة طويلة الأمد ومتعددة الأشكال مع العالمين العربي والإسلامي".

وفي رده على سؤال لمراسل صحيفة "هآرتس" الإسرائيلية، حول السبب الذي من أجله شنوا الحرب على العراق، يقول وليام كريستول - أحد المراجع المؤثرة في عقل جورج بوش وكان من صناع فكرة غزو العراق - يقول: إن هذه الحرب تهدف أول ما تهدف إلى تشكيل وبناء شرق أوسط جديد، فهي حرب لتغيير الثقافة السياسية في المنطقة بأكملها.

ويضيف كريستول: بعد ما حدث في 11 سبتمبر 2001 - استيقظ الأمريكيون ليكتشفوا أن هذا العالم أصبح مكاناً خطيراً، ولهذا بحثوا عن مبدأ أو عقيدة تتيح لهم مواجهة هذا العالم الخطير، والعقيدة الوحيدة التي وجدوها هي تلك التي يتبنها المحافظون الجدد، وتقوم على تغيير الثقافة السياسية للمنطقة، وإيجاد نظام عالمي جديد، والاستعداد لاستخدام القوة لبناء وتأسيس هذا النظام الجديد. وعلى هذا الأساس كانت حرب العراق لبناء النظام العالمي والشرق الأوسط الجديد.

ويسألته محرر "هآرتس" قائلاً: هل يعني هذا أن الحرب ضد العراق كانت حرب المحافظين الجدد؟ فيضحك كريستول ويقول: هكذا يقولون لكن الحقيقة أن هذه حرب أمريكية... والمحافظون الجدد نجحوا في التغلغل داخل نسيج المجتمع الأمريكي... وبسبب مثالية الأمريكيين فقد قبلوا ما عرضه المحافظون في تبريرهم للحرب... فالأمريكيون لم يرغبوا في شن حرب من أجل المصالح لكن حينما تعلق

الأمر بالقيم والمثل وافقوا على تلك الحربة أى أنها تستند إلى رؤية عقائدية.

ويسأله المحرر : هذه الرؤية العقائدية تعنى أنه بعد العراق يأتى دور السعودية ومصر؟ فيقول كريستول : إنه بالنسبة للسعودية فما زال هو والإدارة الأمريكية مختلفين بشأنها، لكنه يرى أنه لا يمكن السماح للسعودية بالاستمرار فى نهجها الذى يحض على كراهية ومعاداة الأمريكيين..

أما فيما يتعلق بمصر فيعتقد كريستول أنه لا يمكن الموافقة على الاستمرار فى الوضع الراهن إذ يجب أن تتبع ديمقراطية ليبرالية، ويضيف أن الاستقرار الذى يعرضه القادة العرب هو استقرار وهمى وخيالى..

وكان عدد من كبار المحافظين الجدد الموالين لإسرائيل نظموا - أوائل مارس من العام الحالى ٢٠٠٧ - ما سمي بمؤتمر "القمة الإسلامية الإصلاحية" فى الولايات المتحدة، بهدف "علمنة الإسلام" و"إعادة تفسير القرآن" بتفريغه من مضمونه. عقد المؤتمر بمشاركة وجوه علمانية بارزة، ومسؤولى إعلام ومخابرات غربيين. وفى بيان صحفى قال المنظمون: إن المؤتمر سيناقش التفسيرات العلمانية للإسلام، وأهمية توسيع مساحة النقد والحاجة لنقد القرآن. ويقول البيان: إنه يهدف إلى صياغة "إسلام عصري" من خلال إعادة تفسير الإسلام بأسلوب "عصرى".

ومن أبرز المنظمين (مايكل ليدين) الذى ينتمى إلى معهد "أمريكان إنتربرايز" الذى يساهم فى تشكيل السياسة الخارجية للإدارة الأمريكية. ومن المنظمين أيضاً "المؤسسة الأوروبية للديمقراطية" التى تعتبر الذراع الأوروبية لمؤسسة "الدفاع عن الديمقراطيات" الأمريكية الموالية لإسرائيل التى تأسست بعد يومين فقط من هجمات ١١ سبتمبر ويسيطر عليها اليمينيون الجمهوريون من المحافظين الجدد. كذلك شارك فى التنظيم (وليام كريستول) رئيس تحرير مجلة "ويكلى ستاندرد" الأسبوعية لسان حال اليمين الصهيونى الأمريكى، وفرانك جافنى رئيس مركز الدراسات الأمنية، وهما من الرموز البارزة للمحافظين الجدد ويتمتعان بارتباطات عديدة بمؤسسات المحافظين.

وعلى الرغم من أن موضوع النقاش فى المؤتمر هو "إصلاح الإسلام" فإن أغلب

المتحدثين -وفقاً لقائمة المتحدثين التي وزعها المنظمون- من غير المسلمين، بل من العلمانيين أو ممن تحولوا عن الإسلام، ثم تخصصوا في مهاجمته.

هجمات ١١ من سبتمبر

يرى العديد من الباحثين والخبراء أن جزءاً كبيراً من (النجاح) المرحلي الذي سجله المحافظون الجدد، في السنوات القليلة الماضية، يعود إلى أحداث الحادى عشر من سبتمبر وتغييراتها على السياسة الأمريكية والعالم. فالمتشققون الذين اعتادوا قيادة معارك الأفكار وجدوا فرصة مناسبة لوضع نظرياتهم موضع التطبيق. إذ كانوا المجموعة الوحيدة التي أوجدت تفسيراً كما اقترحت رداً في التو واللحظة، فقط بعد أيام قلائل من الهجمات.

وإذا كان صحيحاً أنهم لم يتوقعوا حدوثها، أو لم يسبق شيء إلى علمهم بشأنها، فإنهم على الأقل كانوا قد سبقوها بتوجيه الإنذارات: "علينا الآن نترك أنفسنا ننام عند نهاية الحرب الباردة.. لنبقى يقظين.. إنه من المبكر أن يتم التحدث عن مغانم السلام، لأن هناك مخاطر جديدة تهددنا".

ولعله مما يستلفت النظر في هذا الصدد ما يذكره المراقبون من أن الرئيس الأمريكى - وبعد الهجمات - انقلب من رئيس عادى كانت السلطة هي التي تستهويه، إلى زعيم وقائد ومنظر مقتنع بأنه يحمل رسالة القضاء على ما وصفه بالشر، ويذكر المراقبون بتصريح سبق أن نسب إلى جورج دبليو بوش ذاته، حين سئل مرة إذا كان يتحدث إلى "أبيه" - الرئيس الأسبق - فأجاب بأنه يتحدث إلى الأب الذي في السماوات.. ولقد تمكن المحافظون بعد الهجمات من السيطرة سيطرة كاملة على السياسة الأمريكية.

العراق.. محطة على طريق التدمير

من المعروف أن صياغة جزء كبير من كابوس (الشرق الأوسط) الحالي، تمت على عين المحافظين الجدد وحسب رغبتهم وتوجهاتهم. إذ تعد المنطقة العربية و(الشرق الأوسط) عامة، مركز دائرة التفكير الجيوسياسى لدى المحافظين الجدد، الذين يعتقدون أنه يجب أن يتبدل طوعاً أو كرهاً، وأن يأخذ التبدل المنشود (إسرائيل) في

ويقدم كتاب *America Alone* مؤلفيه Jonathan Clarke و Stefan Hapler -
الخبيرين في السياسة الخارجية - التفسير وكيف أن مجموعة الجدد اختطفوا
السياسة في كل من أمريكا وبريطانيا تحت مزاعم مكافحة الإرهاب ظاهرياً، في حين
كان الهدف هو إعادة تشكيل منطقة الشرق الأوسط حتى تظل دائرة في فلك السياسة
الأمريكية ومستجيبة لإيحاءاتها وتوجهاتها، ومتقبلة لفكرة التدخل الأمريكي في
شئون دولها الداخلية ومتقبلة لفكرة حروب أمريكا الوقائية.

ونشير في هذا الصدد إلى تقرير "استراتيجية الدفاع لعقد التسعينيات" الذي أعده
ديك تشيني وزملاؤه عام ١٩٩٢ - أي قبل ثمانى سنوات من وصوله إلى منصبه الحالي
كنائب للرئيس - واختار هو وزملاؤه من المحافظين الجدد العراق كهدف لتطبيق تلك
الفلسفة خدمة لأمن إسرائيل، وتحويل العراق قاعدة عسكرية دائمة للولايات المتحدة
في المنطقة.

ولكن الأهم من هذا كله هو تحقيق الحلم التوراتي بالنصر على ملك بابل وتدمير
عرشه، ومن ثم قتله واستباحة دماء شعبه، ثم تحقيق المشروع الصهيوني القديم الذي
ينص على تفتيت بابل، والدول المجاورة لها لتكون على شكل دويلات وكيانات متناحرة،
كي تتحقق أمنية إسرائيل الكبرى. وبهذا تتمكن إسرائيل من تحقيق معظم أحلامها
التوراتية والدينية والسياسية والإستراتيجية، من دون أن تهدر قطرة دم يهودية واحدة.

أكد هذه الحقيقة الجنرال (التوني زيني) الرئيس السابق للقيادة الوسطى الأمريكية،
التي نفذت غزو العراق حين قال: "إن المثقفين اليهود المعروفين بالمحافظين الجدد هم
من أشعل حرب العراق خدمة لإسرائيل" وحدد ثلاثة أسماء بارزة هم (بول وولفويتز)
نائب وزير الدفاع الأمريكي لشئون التخطيط أثناء غزو العراق، وقد سبق أن شارك في
صياغة الوثيقة المعروفة باسم "عقيدة بوش" التي تلخص الحروب الاستباقية التي
تبناها الرئيس الأمريكي. أما الشخصية اليهودية الثانية فهو (دوجلاس فيث) مسئول
السياسة الدفاعية أثناء غزو العراق، والشخصية اليهودية الثالثة من المحافظين الجدد

الذين ذكرهم الجنرال زيني، هو (ريتشارد بيرل) وقد شغل منصب رئيس مجلس السياسة الدفاعية التابع لوزارة الدفاع الأمريكية من يوليو ٢٠٠١ وحتى ٢٠٠٣، وقد ابعد من منصبه على خلفية ما نشر عن تورطه بتلقي عمولات من قبل إسرائيل عن صفقات سلاح بمليارات الدولارات من بينها تطوير الطائرة الحربية الإسرائيلية (لافى).

وقد كتب (أري شافيت) في صحيفة "هارتس" الإسرائيلية متبجحاً في ١٥ إبريل ٢٠٠٤ : إن "حرب العراق كانت من بنات أفكار خمسة وعشرين شخصاً من المحافظين الجدد أغلبهم من اليهود" وجاء في مقال للكاتب وداعية السلام الإسرائيلي أوري أفنيري تحت عنوان "بعد انقضاء الليل" يحدد فيه المجموعة التي بادرت إلى الحرب وغزو العراق بأنها "خليط من المتدينين المسيحيين المتطرفين والمحافظين الجدد من اليهود".

إذ تنادى هؤلاء للحرب على العراق قبل وقت طويل من هجمات سبتمبر ٢٠٠١، حتى أصبحت مسألة العراق من الأفكار الثابتة لديهم. فقد كتب وليام كريستول ولورانس كابلان وهما مثقفان من صلب التيار الذي يرسم مخططات إدارة بوش كتاباً قبل بدء العمليات ضد العراق بعنوان "طريقنا تبدأ ببغداد" قال فيه : "تعتبر حرب العراق اختبار تحدي لما بعد الحرب الباردة".

وكتب مكينيث أدلمان، وهو ناشط من المحافظين الجدد وموظف في البنتاجون عمل مع مجلس السياسة الدفاعية حتى عام ٢٠٠٥، افتتاحية شهيرة في صحيفة "واشنطن بوست" في فبراير ٢٠٠٢، قال فيها : "أؤمن بأن تدمير قوة صدام حسين العسكرية وتحرير العراق سيكون في غاية السهولة". ولقد رأوا في تبديل نظام بغداد ظرفاً ملائماً للبرهان على صحة منطقهم، فأطلقوا بلاغهم القائل: من الآن وصاعداً أمريكا هي القوة العليا على الكوكب، ولها السلطة، ومن واجبها إعادة رسم خريطة العالم بعد الحرب الباردة.

وفي إطار العراق، كانت قناعتهم أن سقوط صدام حسين سيبدل صورة وأوضاع المنطقة العربية، ويمكن النفوذ الأمريكي فيها بصورة مطلقة. ومن ثم اتخذوا من أكاذوبة

"أسلحة الدمار الشامل" ذريعة ملهمة رغم أنهم يعلمون أن صدام حسين لا يملك تلك الأسلحة، ولما كان عليهم أن يقتنعوا الشارع الأمريكي بأحقية هذه الأكاذيب، أخرجوا حملة إعلامية صاخبة جيشوا لها محطات ومؤسسات ومراكز.

وكان روبرت جوزيف المسئول في الإدارة الأمريكية - وهو المعروف بعلاقاته الوثيقة مع مؤسسات الأبحاث الموالية لإسرائيل كمركز "فرانك غافني للسياسة الأمنية" - الذي دس

في خطاب جورج بوش عام ٢٠٠٣ عن حالة الاتحاد الخبر الكاذب الخاص بشراء العراق لليورانيوم من النيجر، وهي الأكاذيب التي أقنعت الكونغرس والرأي العام الأمريكي بضرورة شن الحرب ضد نظام الرئيس صدام حسين.

إلا أنه وبعد سنوات الدمار التي أصابت هذا البلد العربي أثبت العراق - بفضل سواعد أبنائه في المقاومة الوطنية - فشل عقائد المحافظين، كما أثبت أيضاً كم هؤلاء مغرورون ومثاليون وغير قادرين على فهم حدود القوة الأمريكية.. خاصة وأن الحجج المقدمة لتبرئة هذه الحرب قد فضحت أمام الأ شهدا وبات الذين اختلقوها يتبرأون منها.

يقول وليام كريستول - الذي يعد الأب الروحي للجيل الحالي من المحافظين الجدد - : "إنه لا مفر أمامنا من إثبات قدرتنا على النجاح في العراق لأن فشل المشروع الأمريكي هناك سيشكل انتكاسة كبرى للمحافظين الجدد".

في مقابلة مع شبكة الـ "بي بي سي" في العام ٢٠٠٣ تقول ميراف وورمرسر "عندما بدأ الهجوم على العراق، فتحنا زجاجة شهبانيا.. كانت لحظة انتظرناها لسنوات طويلة.. كنا نقوم بعمل خارق من خلال الدفع نحو هذه الحرب.. لم يخطئ أحد شيئا.. لم نفشل دماغ الرئيس.. انه يعمل وفق معتقداته وقناعاته الخاصة". ولم تمض بضعة أعوام حتى أعريت وورمرسر عام ٢٠٠٦ عن خيبتها من الانتكاسات التي عرقلت مشروع المحافظين الجدد قائلة : "أنا إسرائيلية ومن العصايب.. هذه الجماعة تتألف من أكاديميين أصبحوا جزءا من إدارة بوش لكنهم فشلوا في تمرير أفكارهم من خلال البيروقراطية.. هم مجموعة من المفكرين الذين أتوا بأفكار عظيمة، لا أزال أؤمن بها،

لكنهم لم يجدوا طريقة للترويج لامتقاداتهم فى ظل تعقيدات البيروقراطية.

وتشدد وورمسر على أن "القرار الأخير لم يكن بين أيديهم. كان هناك الكثير من الإحباط عبر السنوات فى الإدارة لأننا لم نشعر بأننا كنا ننجح.. (جون) بولتون غادر وكثيرون غيره يستعدون لذلك.. جميعنا نشعر بأننا انهزمتنا بعد السنوات الخمس الأخيرة". وتعد وورمسر أحد أهم واضعى تقرير الإستراتيجية الجديدة لضمان أمن إسرائيل فى العام ١٩٩٦ بالتعاون مع آخرين من أمثال ريتشارد بيرل ودوجلاس فيث. وقد تمحور موضوع أطروحتها لشهادة الدكتوراه حول أفكار فلاديمير جابونتسكى، منظر اليمين الإسرائيلى، الذى يعتبره بنيامين نتنياهو "أباه السياسى"، والذى رفع الشعار القائل "أيها الفتية اليهود، تعلموا استخدام السلاح".

إيران.. الذبيحة المرتقبة

لا يكل المحافظون الجدد فى البحث وبشكل دائم عن مشاريع وأهداف خارجية جديدة لألة الحرب الأمريكية. خاصة وأن الرغبة فى إعادة تشكيل الشرق الأوسط، وليس فقط العراق، لازالت فى رؤوسهم.

فبعد فترة قصيرة من غزو العراق، حذر معاون وزير الدفاع الأمريكى بول وولفويتز من أن "هناك حاجة لإحداث تغيير فى سوريا". كما أن أصدقاء إسرائيل يشيرون بالبحاح إلى أن إيران هى العدو "الحقيقى". ولم تتوقف الآلة الإعلامية بعد عن ترديد مقولات مثل : إيران تدعم المقاومين العراقيين وسوريا تسمح للجهاديين بالتسرب عبر حدودها إلى العراق، وكل ذلك من أجل تصوير دمشق وطهران على إنهما متورطتان بقوة فى عمليات المقاومة ضد الاحتلال هناك.

وفى واشنطن الآن، يكاد تلاميذ ليو شتراوس يفقدون صبرهم بتمهيم الفوضى إلى السودان ولبنان وربما مصر. ففى هذه المرحلة لم يعد أحد يتحدث عن نشر الديمقراطية، إنما فقط عن إعادة تشكيل الأقاليم وتأديب المارقين.

تقول (ميراف وورمسر) - مديرة مركز الدراسات الشرق أوسطية فى معهد "هاسون" -

: لم تكن حربنا في العراق إلا جولة من حرب طويلة الأمد. من الخطأ الظن أن أهدافنا تقف عند العراق.. يجب أن نستمر ويسرعة أكبر". وتعد وورمسر أحد أبرز المروجين لأفكار المحافظين الجدد، وأكثر المهتمين برص صفوف هؤلاء ونفض غبار العراق عنهم وإعادة إحياء برنامجهم السياسي الخارجى.

ولأزال (روبرت جوزف) - وهو من دعاة الضربات الاستباقية، بما فيها استخدام الأسلحة النووية، ضد الدول المعادية التى تسعى إلى حيازة أسلحة الدمار الشامل - يردد تصريحات زعماء إسرائيل بأن "برنامج إيران النووى يقترب من نقطة اللا عودة ويأن حيازة إيران للسلاح النووى لا يمكن قبوله". ويقول أيضاً : "إن خصوم أمريكا الجدد (إيران) يسعون إلى الحصول على أسلحة دمار كافية لابتزازنا بحيث لا نقدم العون إلى أصدقائنا (إسرائيل؟) الذين سيصبحون ضحايا العدوان".

ويقول اليكسيس ديبات - مدير الأمن القومى والإرهاب بمركز نيكسون - : إن وزارة الدفاع الأمريكية (البنطاجون) أعدت خططاً لشن هجمات شاملة تستهدف ١٢٠٠ موقع فى إيران بغرض استئصال القدرة العسكرية الإيرانية فى غضون ثلاثة أيام. وفى اجتماع نظمته مجلة "ذى ناشيونال إنترست" - وهى مجلة محافظة تهتم بالشئون الخارجية - قال ديبات : إن المخططين العسكريين الأمريكيين أعدوا خططاً لشن هجمات خاطفة ضد المواقع النووية الإيرانية، وأضاف أنهم "يتحدثون عن استهداف القدرة العسكرية برمتها".

ونقلت صحيفة "صنداى تايمز" ٢ - ٩ - ٢٠٠٧ عن مصدر فى واشنطن لم تكشف عنه قوله : إن "الحرارة أخذت فى الارتفاع داخل الإدارة الأمريكية". ووفقاً لمصدر مطلع آخر قالت الصحيفة إن واشنطن تعتقد أنه من الحكمة استخدام قوة سريعة وشاملة للقيام بعمل عسكري. ونبهت إلى أن إسرائيل التى حذرت من أنها لن تسمح لإيران بامتلاك الأسلحة النووية، قامت باستعداداتها الخاصة بها لشن ضربات جوية، وقالت إنها على أهبة الاستعداد للهجوم إذا ما تراجع الأمريكيون.

واليوم باتت هناك جماعات منظمة تعمل بنشاط ، لخلق قضية من أجل شن الحرب

ضد سوريا وإيران معا. فالمنظمات مثل "قاونديش فور ديمقرسى ان إيران" (مؤسسة من أجل الديمقراطية فى إيران) و"مجموعة دراسة لبنان" هي منظمات تتلقى تمويلها وكوادرها بشكل رئيس من قبل المحافظين الجدد وجماعات التأييد التى ترى فى خيار الحرب الطريقة الوحيدة لإنهاء تهديدات "الأنظمة المارقة".

كما أن الـ "إف دى آى" التى يترأسها كينيث تيميرمان والتى تضم عضو المحافظين الجدد (جشوا مورافيشك) و(بيتر رودمان) كأعضاء مؤسسين، تنشر على موقعها عناوين مثل "كيف يمكن إسقاط الملألى" و"هناك خيار بديل لوثيقة هاملتون - بيكر". وجميعهم يتمتعون بعلاقات وطيدة مع اللوبى الإسرائيلى، ورودمان بالذات له صلة قوية مع الموساد.

ويشدد مرشح الرئاسة الأمريكية الجمهورى المحافظ كارل شوارتز، على أن "المحافظين الجدد يسعون إلى السيطرة الكاملة على إيران، ضاربين بمرض الحائط معارضة الرأى العام وبعض الدول النافذة مثل روسيا". ويضيف شوارتز "الإرهاب بات عنرا لتغيير ما يرفض الناس تغييره.. لقد فشلت السياسة الأمريكية تجاه إيران والمنطقة نتيجة ارتباطها بالمحافظين الجدد وإسرائيل".

ويعد مايكل ليدين أحد أبرز الداعين إلى ضرب إيران والأكثر بروزاً فى مجال الكتابة والتحليل لدى المحافظين الجدد، بحيث أصبح فى طليعة منظرى فكر هؤلاء ومنبعا للأفكار العسكرية التى نتجت عن سياساتهم، ومن ضمنها دعوته لتصدير "الثورة الديمقراطية" والتى تتضمن فى جوهرها دعوة "التدمير الخلاق".

والى جانب ليدين، يبرز بين المحافظين الجدد النافذين مستشار تشينى للشئون الأمنية جون هانا، الذى يعتبر مسألة تغيير النظام فى دمشق شغله الشاغل، ومستشار تشينى الآخر والمسئول السابق عن الموظفين، ديفيد ادنجتون، الذى يلقب بـ "الرجل الأكثر نفوذاً الذى لم تسمع عنه من قبل"، والذى عرف بنظرية "الانتصاف على الدستور".

الموروث الشعبي الفلسطيني بين الأصالة والمعاصرة

حاتم عبد الهادي السيد

(البكرج اللي انتصب رنت فناجينه) "مثل فلسطيني"

يحكون في بلادنا، يحكون في شجن
عن صاحبي الذي مضى وعاد في كفن
كان اسمه، لا تذكروا اسمه
خلوه في قلوبنا، لا تدعوا الكلمة
تضيق في الهواء كالرماد
خلوه جرحاً زاعقاً لا يعرف الضماد
طريقه إليه.
"محمود درويش"

ربما كان من الأجدر بنا ونحن نتباحث في الموروث الشعبي الفلسطيني أن نبدأ بأبيات
من قصيدة "وعاد في كفن" للشاعر الفلسطيني "محمود درويش" حتى يمكن لنا أن
نوصل الماضي بالحاضر ونستشرف لأفاق المستقبل للأمة الفلسطينية المناضلة.

وإذا كان الاحتلال الإسرائيلي الآن يحاول طمس الهوية والتراث الخالد للشعب الفلسطيني وذلك بمحاولاته الخبيثة لضم "جبل داود" ضمن التراث اليهودي في خريطة الأمم المتحدة فإننا لذلك ندرك مدى أهمية البحث في الموروث الشعبي لدولة فلسطين المحتلة، وذلك في محاولة منا لإظهار الهوية للفلسطينيين، ولإظهار تراث قيم تزور حالياً من أجل تثبيت دعائم الصهيونية العالمية.

وإزعم أن البحث في الموروث الفلسطيني لا بد وأن يتناول قضية الأصالة والمعاصرة كنتاج حتمى تقضيه الضرورة الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية للحالة التي أصبحت عليها الدولة الفلسطينية الآن.

فقد ذكر أصحاب فهرس المدن (ومعادن البلدان) بعض الأساطير والأثار الخاصة بالمدن الفلسطينية ففى (الفهرست.. الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية) أورد المؤلف أن "الرملة" موجود بها الجامع الأبيض، ومدفون داخله ثلاثمائة من الأنبياء والصديقين، كما أن مدينة (طبرية) يوجد بها قبر النبی شعیب وقبر ابنته زوج الکليم، موسى، وقبر ينسب إلى نبی الله سليمان بن داود عليهما السلام بجامعة المعروف "جامع الأنبياء" ويقال أن في القرب منها جب يوسف كما أن "عسقلان" يوجد بظاهرها وادی النعل^١.

أما مدينة (يافا) وكما يورد "فؤاد إبراهيم عباس" (١). فيقال أن النوى أسسها هو يافث بن نوح، ولكن المرجح أن اسمها "فينيقيا ومعناه (الجميلية)" ويقال أنها أسست قبل الطوفان Garroting: The Story of Jericho, London 1940.

ولما غزا بنو إسرائيل فلسطين سنة ١٤٠٠ ق.م بقيت يافا تقاومهم ولم يأخذوها عنوة إلا بعد أن ضعف سلطان الفراعنة، وتقاسم بنو إسرائيل البلاد، وقيل أن "عشتروت" الإلهة عبدت في يافا وكانت على شكل امرأة نصفها الأسفل من السمكة واعتبرت أنها راعية للصيادين، كما كان يجاور معبدها بركة مقدسة في يافا تحفظ بها الأسماك.

ويرى (تولكوفسكى) صاحب كتاب تاريخ يافا: S. Toikowsky: The Gateway of Palestine. A History of taffa condon 1942

أن البضة (موقع ينخفض في شمال شرقي يافا تتجمع فيه الأمطار) وهو موقع تلك البركة المقدسة، كما أننا نجد أثراً من عبادة الإله داجون Dagon في اسم قرية "بيت دجم" المجاورة لمدينة يافا.

كما يورد لنا هؤلاء إبراهيم عباس في كتابه "العادات والتقاليد في الموروث الشعبي الفلسطيني" بعضاً مما أورده القاضي مجير الدين الحنبلي في كتابه "الأنس الجليل بتاريخ القدس والجليل" بعضاً من الأساطير الفلسطينية وأغلبها عن بيت المقدس ومقدساتها، ومن ذلك أن سفينة نوح عليه السلام طافت بالبيت الحرام الذي بمكة المكرمة أسبوعاً كاملاً، ما طافت ببيت المقدس أسبوعاً كاملاً قبل أن تستوى على الجودي في مدينة الموصل بالعراق، كما يضيف بأن السفينة لما بلغت بيت المقدس نطقت بإذن الله وقالت: "يا نوح هذا بيت المقدس الذي يسكنه الأنبياء من أبنائك"، كما نقل صاحب "الأنس الجليل" بأنه يوجد عند باب التوبة طلسم مكتوب على لوح في حائط مسجد القدس فلا تقرب الأفاعي والحيات من ذلك المكان لوجود الطلسم وإذا وجدت حية فمن المؤكد أنها غير سامة، ويقال: أن الرخ وهو الطير الأسطوري كان قد خلق من إر من أودية بيت المقدس حتى سلب الله عليه طيوراً جارحة كثيرة فأبادته هو ونسله.

ومعلوم أن فلسطين تشتهر بالزراعة، ولعل أول ثورة زراعية ابتدأت في مدينة أريحا في الألف السادس قبل الميلاد. كما يقول ج برونوفسكى (٢)، تلك المدينة الفلسطينية التي تحكي قصة الاستقرار البشري منذ العصر النيوليث (Neolithictimes) ٨: ٥ (٨ آلاف سنة قبل الميلاد) وهي مرحلة الانتقال الثقافي في عصر الجمع والالتقاط والصيد إلى مرحلة الاستقرار وإنتاج المزروعات الغذائية وصناعة الطعام.

ومما يورده لنا "سليم عرفات المبيض" (٣) في كتابه "الحصيدة في التراث الشعبي الفلسطيني": أن عالم الآثار الأمريكي روبرت براد وود "قد أورد بأن سكان أريحا زرعوا

الحيوب ودجنوا الحيوانات، كما تغزل بها الوزير الفرعوني "سنوهي" في قصته الشهيرة عندما قدم للبلاد في القرن العشرين قبل الميلاد ١٩٦١ ق.م يقول: كان فيها الشعير والقمح وماشية من جميع الأنواع ولا يحصرها العدد(٤).

ولعل الهدف من إيرادنا مثل هذه المقتطفات أن ندلل على أصالة فلسطين كأرض ملك للفلسطينيين، وليست أرضاً للمعاد كما يذكر أصحاب برتوكولات حكماء صهيون، وعلى رأسهم تيودور هرتزل، ولقد انتشرت الأغاني الشعبية التي تعبر عن الطموحات السياسية وتفسح عن الأحوال الاقتصادية التي مارسها البريطانيون بالأظافر الصهيونية، ومنذ أن سافر الحاج/ أمين الحسيني .رحمه الله . رئيس المجلس الإسلامي الأعلى بفلسطين وقائد كفاحها ومفتي ديارها المقدسة، حيث سافر إلى برلين سنة ١٩٤١ ليقابل "هتلر" لمطالبته بمنع تدفق هجرة اليهود الألمان لفلسطين، وفي هذا المقام أنشد الشاعر أمين الخلاص قصيدته الشعبية الشهيرة، ذاكراً للرحلة ومنشداً بالممارسات الصهيونية لليهود والألمان يقول (٥).

بابوري رايح وبابوري جاي = وأنا اللي قاعد وحدي حزين بابوري رايح على برلين =
جايب لي هدية من الحاج أمين الله يجيبه على فلسطين = وإحنا منه ممنونين = يا
حاج أمين شوف ها الحالة = من بعد القمح أكلنا نخالة تعالى وهدى ها الحالة =
وإحنا منك ممنونين يا حاج أمين شوف ها العيشة = من بعد القمح أكلنا جريشة
تعالى وهدى ها العيشة = وإحنا منك ممنونين

وانطلقت الأمثال الشعبية رافضة جباية الضرائب على الأراضي، بل ودعى الفلاحون إلى الإضراب عن زراعة القمح ومن الأمثلة الفلسطينية التي قيلت في ذلك(٦).

= "زوان بلدنا ولا قمح الصليبي أو "الخريب".

= "شعيرنا ولا قمح غيرنا".

فهم يفضلون مسارة "الزوان" على قمح الغرباء وذلك في محاولة منهم لرفض

الإمبريالية البريطانية المتعسفة والمؤيدة لاستلاب الصهيوني للأرض، وما صاحبها من وعد بلفور، ثم الانتداب البريطاني فكان التحدى الشعبى للفلاحين، فانطلقت الأمثلة الشعبية لتندد بالضرائب ومنها:

= "ضريبة ما يتدفع مال ويركو ما عليك".

وهذا المثل يقال لتشجيع كل فرد يرفض دفع الضرائب و (مال الوريكو) ضريبة عثمانية فرضت عام ١٨٨٦م على أصحاب الأملاك فى فلسطين، فقد دأبت الحكومة البريطانية على استيراد اللقيق الأبيض وطرحه فى أسواق فلسطين لضرب الإنتاج المحلى، وكان الشعب مستيقظاً هرفض مثل هذه الممارسات ورفض الزراعة فى مشرق بئر السبع بحجة وجود "لمشاش". الأرض المالحة. وذلك لأن جياة الأعشار. الضرائب. كانوا يأخذون باقى المحصول فقال شاعرهم:

الحمد لله وراية الله علينا شاش = اللى حكم بالعدل مع زارعين لمشاش = زفر عليها
الزرى وطار وشاش = نفاه عفير ما خلا ولا حية تطلع = وريحة رواحهم من الكبد
كمان تطلع = حسب للمعدود لقوا عليهم زيادة تطلع

ومن عادات أهل فلسطين أنهم كانوا ينصرون إخوانهم فى القرى المجاورة وتسمى تلك العادة "الفرقة الجماعية" (٧) حتى يشاركوهم فى النضال الجماعى ضد العصابات الصهيونية والمخبرين، كما كانوا يشتركون فى بناء المنازل ومن أهازيجهم فى هذا الاحتفال:

يا دار لا تخافيش = و احنا حماك وسورك = الدم الأحمر لنحميك = من كل ويش
يزورك

وإذا كنا قد أشرنا بداية بأنه من المفيد أن ندرس الموروث الشعبى الفلسطينى فى صورة معاصرة فإننا ولابد أن نخرج على بعض الأناشيد القومية التى تدعو إلى المطالبة بالاستقلال وبناء الدولة العربية الإسلامية والدعوة لاستقلال الأمة العربية ووحدتها

ومن هذه الأناشيد الوطنية التي كان يرددّها أبناء الشعب في فلسطين وكما يوردها
فؤاد إبراهيم عباس قول شاعرهم:

شبووا على الخصم اللدود = إلى متى أنتم نيام = قوموا إلى الموت الزؤام = وامشوا له
مشى الأسود

وقولهم:

نحن خواضو غمار الموت كشافو المحن = نبذل الأرواح نفديها لإحياء الوطن = هل
سوى الأرواح للأوطان في الدنيا ثمن

وقولهم:

يا ثبوت الوغى = خصمنا قد طغى فلنمت كلنا = في سبيل الوطن

وقولهم:

بلاد العرب أوطاني = من الشام لبغدان ومن نجد إلى اليمن = إلى مصر فتطوان فلا
أحد يفرقنا = لنا دين يوحدنا لسان الضاد يجمعنا = بقحطان وعدنان

ويبدو فلسطينيون حيون حياة تكاد تنسق وحياة البدو في شبه الجزيرة العربية، وبأدب
سيناء، فهم يلبسون العقال والعباءة والكوفية، ويلبسون الثياب المصنوعة من صوف وبر
الجمال والماعز، كما تلبس النساء الثوب البدوي المحلى المصنوع من أنواع النسيج
المحلى، كما يلبسون غطاء للرأس (المنديل أبو سفريته) والشرشف شتاء.

كما يسكنون الخيام ويبيت الشعر ويسهرون بالليل للتسامر ويرقصون النبكة ويعملون
بالزراعة، ويأكلون من عرق أيديهم، ومن أشهر أكلاتهم الفتة والمجدرة والبصارة
والشواطي والمجة وغيرها، ويشربون اللبن (الرايب)، ويذبحون الشياه والخراف كما

يغرمون بأكل الحلوى، ويصفون المريى ويشربون العصائر.

وتشتهر المرأة الفلسطينية بالجمال، وتتحلى بالثياب الزاهية، ولقد استغل اليهود جمال اللبس الفلسطيني فسرَقوا صناعته وادعوا أنه من إسرائيل (٧).

كما يتداوون بالأعشاب البرية، وبالكى ولقد ظهر منهم أطباء شعبيون متخصصون فى جميع الأمراض الجسمية والعصبية والنفسية.

ولقد ظهر أيضاً فى فلسطين تصوف ومتصوفون وشعراء ومن أشهر المتصوفة "رابعة العدوية" التى ابتدعت الحب الإلهى فى مذهب التصوف الإسلامى، ولقاءها مع "ذى النون المصرى" ذكره السراج القارى فى كتابه "مصارع العشاق" ونقله عن الزبيرى فى كتابه "تحاف السادة المتقين"

كما يتبرك الفلسطينيون بالأولياء والشيخ المبروكين ويحب الرجل الفلسطينى كثرة الإنجاب، ولعل الدافع إلى ذلك سياسى فى المقام الأول وهدفه إكثار عدد الذرية لإعمار الأرض، وجلب المنفعة للوالدين، والدود عن الأوطان، لذا حاربت الصهيونية العالمية ظاهرة الإنجاب فى فلسطين، وسعت إلى الحد من الإنجاب بكل الطرق، وما الانتفاضة الفلسطينية وسقوط الشهداء الفلسطينيين من الأطفال إلا دليلاً دامغاً على الوطنية الساعية لعودة الأرض السليبة لتحقيق الأمن والأمن، وليلعو السلام أشجار الزيتون، ومن المعلوم أن شجرة الزيتون يحترمها الفلسطينيون ويسمونها "شجرة النور" فيصفون العريس ليلة زفافها بالزيتونة المضيئة وفى هذا قال شاعرهم:

عريسنا ها الزيتونة = والزيت ينقط منه = وعريسنا واحد = يارب كتر منه

ولعل كثرة المزارع والبيارات فى فلسطين قد أدت إلى دوام عمر الانتفاضة، وتنبه اليهود لذلك فسموا إلى قلع أشجار الزيتون والبرتقال والليمون والسيطرة على المياه لإخضاع الأهالى لهم، ولقد أحدثوا بذلك كارثة نفسية واجتماعية واقتصادية وسياسية مما حدا بالفلسطينيين لنفض الكبت عن كاهلهم والغضب العام، فكان زاد الانتفاضة زاداً

ثقافياً وتراثياً تبنى على كره اليهود وأفعالهم المكارثية عبر العصور الظلامية التي مرت وتمر بها فلسطين إلى الآن.

وبعد: فالدارس للموروث الشعبي الفلسطيني لابد وأن يتكئ على معين التراث القديم لفلسطين ويربطه بالصورة الحالية لحياة شعبه، فلا ينفصل الحاضر عن الماضي، ولا مستقبل بدون الاعتبار من المأسى السابقة، فلا يعقل أن ننسى الصراع الحضارى بين اليهود والعرب على مر الأجيال وما فلسطين إلا البؤرة التي قد تغفل داخل أوصالها الخبثاء، فأصبحوا كسرطان ينهش فى الجسد، بينما كل يوم تجدد الشرايين الدماء بالشهداء، عسى أن يأتى يوم لتنتصر الإرادة ويخرج الغرياء مندحرين من كل الأراضى العربية المحتلة فى لبنان وسوريا مثلما خرجوا قبلاً من سيناء المصرية وطابا، وهم وان انتشروا الآن على منابت النيل فى أفريقيا "يهود الفلاشا" فإنما ليحققوا حلماً واهياً لا امتداد حضارة زائفة لهم، ومصطنعة، تمتد حدودها من الفرات إلى النيل، لذا كان البحث فى الموروث الفلسطيني ضرورة تقتضيها اللحظة الراهنة لتدل أن عرب فلسطين أبناء الأرض الأصلاء، هم الأحق بأرضهم وخيراتهما، فلا دراسة لموروث حضارى قديم دون ربطه بمعاصرة آنية، خاصة أن الصراع العربى - الإسرائيلى قائم وقديم فلا حديث عن موروث ثقافى دون التعرض للأحداث الاجتماعية والسياسية والثقافية المتمثلة فى الموروث الشعبى حتى يمكن لنا أن نقف على لحمه الحقيقية، وكبد الأشياء، وعظمة الأجداد الذين خلفوا تراثاً وطنياً وثقافة ضاربة فى الأصالة وتستشرف لحداثة آتية.

ذلك كان هدفاً أساسياً فى دراسة الموروث الشعبى لعرب فلسطين العظماء.

المراجع الأجنبية :

.Garroting: The Story of Jericho, London 1940

S. Toikowsky: The Gateway of Palestine. A History of Jaffa, London

.1942

هوامش



- ١- فؤاد إبراهيم عباس، العادات والتقاليد في الموروث الشعبي الفلسطيني، مؤسسة العروبة للنشر ١٩٨٩م.
- ٢- ح. برونوفسكى، ارتقاء الحضارة، ترجمة د. موفق شخاشيرو، عالم المعرفة ١٩٨١م.
- ٣- سليم عرفات المبيض، الحصيد في التراث الشعبي الفلسطيني، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٩٠م.
- ٤- د. أحمد فخرى، دراسات في تاريخ الشرق القديم، الأنجلو المصرية، ١٩٨٤م.
- ٥- على الخليلي، أغاني العمل والعمال بفلسطين، منشورات صلاح الدين، القدس، وانظر في هذا سليم عرفات، مرجع سابق، ١٥٨ : ١٥٩.
- ٧- فؤاد إبراهيم عباس، مرجع سابق ٥١ : ٧٥.

بلاغ ضد أم نقد ثقافى لإميل حبيبي ١٩

خالد زكى

رغم غيابه المديد عن الساحتين السياسية والثقافية الفلسطينية فإن إميل حبيبي لا يزال يثير الجدل من حوله. وهذا الكتاب هو فى الأصل رسالة دكتوراة قدمها خضر محجز إلى (معهد البحوث والدراسات العربية) بعنوان (البنية الثقافية فى كتابات إميل حبيبي، وقد تمت مناقشة الرسالة فى السادس من حزيران / يونيو لعام ٢٠٠٦م ونالت الرسالة درجة الامتياز مع مرتبة الشرف الأولى.

فى هذا الكتاب سبر المؤلف، خضر محجز، أغوار المثقف الفلسطينى إميل حبيبي، بوصفه ابن شفا عمرو، وريب حيفا، والمثقف الإسرائيلى، بوصفه ملتزماً بالجنسية، والذي أثار جدلاً بين المثقفين خاصة، بعد جمعه بين المتناقضين، بحصوله على (وسام القدس)، من الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات، كما حصل على جائزة الإبداع الإسرائيلى، من يد رئيس الوزراء الإسرائيلى آنذاك إسحق شامير.

اعترف محجز فى بداية دراسته، بأن دورة البحث بدأت تنخر عقله حيال إميل حبيبي، حال قدوم السلطة الفلسطينية عام (١٩٩٤) وفى نفس الظروف التى نشأت فيه (مشارف) مجلة إميل حبيبي ذات التوجه الواضح نحو «التطبيع، والتى سارع المؤلف نفسه للنشر فيها، رغم علمه مسبقاً بتوجهها هذا . (ص ٢١).

خلص الباحث إلى أن البنية الثقافية لكاتب ما، تعود إلى علاقة كل عنصر ثقافي برؤى الكاتب المؤثرة في كتاباته ، لا الواعية منها فحسب بل واللاوعية كذلك أى ما يمكن تفسيره من خلال نظريات اللاشعور.(ص٢٧).

وبناء على ذلك فإن على القارئ التهيؤ للغوص في اجتهادات محجز ، في لاشعور، ولا وعى إميل حبيبي، في كل شاردة وواردة، وعلى القارئ ، أيضاً، أن يقبل بتحليلات المؤلف، ويقتنع بها.

أما في المنهج وآلية البحث، فقد ذكر الباحث في أكثر من موقع بأن التحليل الجمالي للنص ضروري، لكنه غير كاف لمشروع النقد الثقافي، كما قلل الباحث من شأن النقوشة التي يتوسل بها الجمال، ووضعها موضع مساءلة، وأورد بأن هنالك نقوشة حميدة، ونقوشة خبيثة! كما شرع الباحث في بيان خطواته الإجرائية، وخطته ، وتقسيم فصول كتابه.

ولتناول الإطار الفكري الثقافي عند إميل حبيبي، أورد محجز الخلفية التاريخية للحزب الشيوعي الفلسطيني لحين انضواء الشاب إميل حبيبي، في عصبة التحرر الوطني، في أجنحتها المركزية، عام ١٩٤٤، والتي انتهجت سياسة وطنية، ورفضت قرار التقسيم حين صدر سنة ١٩٤٧، لتعود وتوافق عليه، أثناء معارك ١٩٤٨. وتتبع عجز اندماج العصبة، بالحزب الشيوعي الفلسطيني تحت اسم الحزب الشيوعي الإسرائيلي في الثامن عشر من تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٤٨ حتى تشرين الثاني نوفمبر ١٩٦٥ حين انقسم هذا الحزب إلى حزبين بالاسم نفسه ، وسمى التقاء الأغلبية العربية والقائمة الجديدة، (راكاح)، التي ضمت في رأس قيادتها مائير فلنر، توفيق طوالى، إميل حبيبي، إلى أن اعترف الاتحاد السوفيتي في تموز. يوليو عام ١٩٦٧، براكاح، على أنه الحزب الشيوعي الشرعي في إسرائيل.

وهكذا كان إميل حبيبي، منذ هذا التاريخ، أحد أركان هذا الحزبه ومؤسسيه في أعلى مراحل.

وهنا أعاد المؤلف تلفع إميل حبيبي بالأيديولوجيا، إلى رغبته في الاستحواذ على السلطة، أملاً في أن يوصله تلفعه هذا إلى عضوية الكنيست (ص٨٠) شيئاً الرجل وكأنه غيمة في بطلون! وإذا كان من حقنا أن نختلف مع حبيبي حيال مواقفه، إلا أننا لا نستطيع أن نتمادى في تسطيحه ونشخصن الأمور، ونزعم بأن كل مواقفه إنما

انطلقت من مصالح ذاتية.

تحليل الإنتاج الفكرى

قسم محجز المراحل الفكرية التى مربها إميل حبيبي، إلى ستة مراحل هى:

١) البدايات من التمرد إلى المواطن المثالى (١٩٤٣ - ١٩٤٨)

وهى مرحلة ممتدة من انضمام إميل حبيبي للحزب الشيوعى الفلسطينى، إلى السنوات الأولى من إقامة الدولة اليهودية، وهنا رجح المؤلف أن حبيبي قد انحاز إلى موقف القيادة العربية، وتميز بوعى قومى لافى إلى جانب وعى ماركسى أممى، ووطنية فلسطينية، ونلاحظ ذلك فى تصديه لمحاولات صهيينة الحزب سنة ١٩٤٣ (ص ١٢١) حين وقف حبيبي إلى جانب القيادة الشرعية التى صادف أنها عروبية النزعة فاستطاع أن يرتفع مرة واحدة، إلى مرتبة عضو لجنة مركزية، ليسهم فى تشكيل «عصبة التحرر، فيما بعد».

لعل الأمر المستهجن ميل محجز إلى الاعتقاد بأن حبيبي كان يعلم منذ البداية بأن تشكيل «عصبة التحرر» هى مرحلة أنية وسوف يقاد الوحدة للحزب المنقسم، وإذا كان قائداً هنا، فإنه من البديهي أن يكون قائداً هناك! وفى هذه الفرضية كم من المبالغة والتجنى، وخصوصاً بأن فرضية المؤلف هذه دون سند أو بيان.

٢) المتناضل المدنى (١٩٤٨ - ١٩٦٧)

اعتبر حبيبي نفسه مواطناً إسرائيلياً مناضلاً عنها ومنها يداخ عن حقوق المواطنين العرب المدنية، ويخوض معارك الحركة الشيوعية فى المنطقة العربية، حيناً آخر. فلقد كان له ولحزبه الفضل فى كشف منبحة كفر قاسم (١٩٥٦م).

وهنا يفاجئنا محجز مرة أخرى بملاحظات عديدة حول طريقة تعامل حبيبي مع منبحة كفر قاسم، نذكر منها:

١ - إن حبيبي لم يقدم بشأنها استجاباً فى الكنيسة وإنما الذى قام بذلك هو رفيقه توفيق طوبى، وهنا هل يريد المؤلف الإشارة إلى أن حبيبي كان معترضاً على تقديم هذا

الاستجواب من رفيقه توفيق طويي؟ لا أظن ذلك إنما أراد المؤلف أن يشير بأن عدم تقديم الاستجواب من قبل حبيبي، يعتبر إدانة له أو تقصيراً منه.

٢- إن حبيبي لم يوقع مقالاته، التي نشرها في جريدة الحزب، الاتحاد، حول المذبحة، باسمه الشخصي، وإنما باسمه المستعار المشهور (جهينة). وهنا أعجب من ذكر هذه الملاحظة، فلو ما أراد حبيبي أن يكتب عن المذبحة لما كتب أصلاً، أما أنه كتب عن المذبحة، ووضع اسمه المستعار المشهور حينها فلأنه كان يكتب تحت هذا الاسم أصلاً.

٣- إن كل ما كتب عن المذبحة كان باسم الحزب فلا ضير في ذلك أيضاً فحبيبي ركن من أركان هذا الحزب، ألم يبد المؤلف العديد من الملاحظات على الحزب، الذي ينتهي إليه حبيبي، محاولاً بيان وعي حبيبي الزائف،؟ وهنا يحاول الإشارة بأن هنالك فرق بين مواقف حبيبي ومواقف حزبه.

٤- أصدر حبيبي كتابه عن المذبحة، بعد حدوثها بعشرين عاماً كاملة، وفي مناسبة حدوث مذبحة (يوم الأرض) في يوم ١٩٧٦/٣/٣٠، إذ صدر الكتاب في تشرين الأول / أكتوبر ١٩٧٦م

وهذا كتاب غير مشروع، ولوم غير مبرر، فمازلنا، لغاية هذه اللحظة نرى من يكتب عن نكسة ١٩٦٧ بعد مرور أربعين عاماً عليها.

٣) بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧م (١٩٦٧ - ١٩٧٣)

لم يكن مستهجناً إلى تأثير هزيمة حزيران / يونيو ١٩٦٧ على الفلسطينيين في الدولة اليهودية، كان مضاعفاً، خصوصاً بعد تأكدهم من أن التحرير لم يعد في المتناول في المدى المنظور على الأقل، وهنا نشط حبيبي في تسهيل دمج فلسطيني الدولة اليهودية، في المجتمع اليهودي، دمجاً كاملاً كما بذل جهداً سياسياً، كان يهدف إلى إقناع الحكومة الإسرائيلية بضرورة سحب قواتها من المناطق التي احتلتها في عدوان ١٩٦٧.

٤) بعد عام ١٩٧٣م

في هذا العام حقق الغرب أول نصر عسكري يعتد به وفي العام ٧٤ اعترف النظام العربي الرسمي بمنظمة التحرير الفلسطينية، كممثل شرعي ووحيد للشعب



الفلسطيني، وهنا رأينا حبيبي يستخدم مصطلح (الزلازل) وعبر عن تفاؤله لإسرائيل وللفلسطينيين بزوال الغمة، ويقاء إسرائيل على أرض عام ١٩٤٨، وأنبعثت حق الفلسطيني، في تقرير مصيرهم على أراضي الضفة والقطاع. وفي هذه المرحلة تطورت علاقة حبيبي بمنظمة التحرير، الأمر الذي أتاح له أن يرد على منتقديه، بأن التاريخ اثبت بأن موقفه هو الصحيح!

٥) الانتفاضة ثم الخروج من الحزب

كان طبيعياً أن يتردد حبيبي في تأييد الانتفاضة الفلسطينية التي اندلعت مع نهايات عام ١٩٨٧، ضد قوات الاحتلال الإسرائيلي في الضفة والقطاع كانت رئاسة حبيبي لتحرير صحيفة الحزب، الاتحاد، قد أصبحت في مهب الريح، مع بداية نشره لمقالاته المؤيدة للبرسترويكا، منذ العام ١٩٨٥ وكان المدير المسئول عن الصحيفة، آنذاك، توفيق طوي، قد سئم من تفرد حبيبي برئاسة التحرير، وتحويله (الاتحاد) إلى إقطاعية عائلية.

وفي نيسان/ إبريل عام ١٩٨٧) تمت إقالة حبيبي من رئاسة تحرير (الاتحاد) استمر حبيبي ببعث المقترحات للجنة المركزية للحزب، مشدداً على ضرورة تبني الإصلاحات السوفيتية، ومن ثم تقدم لهم باستقالته التي تم قبولها. وهنا يدلى محجز بدلو، ويغوص في لا وعى حبيبي ليقول بأنه يظهر بأن إميل لم يكن راغباً رغبة حقيقية في الاستقالة (ص ١٧٧)، ولا ندري كيف تمكن محجز من معرفته بعدم رغبة حبيبي في الاستقالة؟

٦) بعد الخروج

بدا حبيبي متمرداً على تصرفات لا ديمقراطية في الحزب الشيوعي الإسرائيلي، ومراجعاً هاملاً لأجمل المنظومة الفكرية التي قامت عليها الأحزاب الاشتراكية والماركسية في العالم.

وفي العام ١٩٩٥ أصدر إميل حبيبي مجلته الأدبية (مشارف) بعد أن حصل لها على دعم مزدوج من كل من رئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات ووزارة المعارف الإسرائيلية لتكون آخر محطات حبيبي الفكرية، وليتوفى بعد ذلك بأقل من عام.

الإنتاج الإبداعي من منظور ثقافي

رواية (الوقائع الضريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل)

القصة عبارة عن مجموعة رسائل تلقاها الراوي من أحد نزلاء مستشفى الأمراض العقلية في عكا، واقتصر دوره على قراءتها لنا، كمتلقين، لتؤلف في مجموعها هذه الرواية التي تتألف من ثلاثة كتب هي، على التوالي:

١ - يعاد، صدر عام ١٩٧٢

٢- باقية، صدر في أواخر ١٩٧٢.

٣- يعاد الثانية، صدر في أواسط عام ١٩٧٤.

بطل الرواية هو سعيد أبو النحس المتشائل، عربي فلسطيني، منهار تحت وطأة هزيمة روحية، قادته من اتجاهات ثلاثة:

١ - تجدره من أسرة عريقة في العمالة.

٢ - ضعف شخصيته

٣- قوة العدو الصهيوني، وجبروته.

لقد أبدى محجز العديد والعديد من الملاحظات على هذا النص، فمن منظور بنيوي شكلائي (ص٢٠٢) اعتبر أن الجيوش العربية القادمة لتحرير فلسطين من الأسر، غير مرغوب بحضورها من الأميرة المأسورة بسبب تشككها في دوافع تلك الجيوش، مفضلة الأميرة النقاء في الأسر. وهنا يقول المؤلف أن لا شعور إميل حبيبي أعاد إنتاج الحكاية، لكي يقوم المتلقى بطرح السؤال الثقافي التالي: هل كان على الأميرة أن تنحاز، في الواقع الفلسطيني إلى سجانها ضد البطل، وإذا؟ (ص٢٠٧).

ومن منظور آخر يرى محجز أن التهمة الأساسية في هذه الرواية هي ضرورة إعطاء العمل فرصته لا ليبرر فعل خيانتة فحسبه بل لكي يجعل هذا الفعل أمراً عقلانياً. (ص٢١٦).

وهنا يفرض السؤال التالي نفسه هل الجلوس على الخازوق، وإبتداء القص في الكتاب الثالث (يعاد ثانية) من فوقه أمراً عقلانياً؟ وانتظار سعيد لصديقه الفضائي ليحملة على ظهره حتى يحلق بالفضاء هو الترجمة لهذه العقلانية، الذي أراد أن يبرر لنا فعل الخيانة من خلالها.

خلال إبداء محجز لملاحظاته نرى منه اعترافاً لا ليس فيه، كخطاب حبيبي الجمالي، الذي يصفه مرة بأنه يؤدي رسالة تحذيرية (ص٢١٧) تحدث لدى المتلقى نشوة، تغيب

الوعى وفى مرة أخرى يصر المؤلف بأنه خطاب جمالى شديد الخصوصية، مترع بالثرات (ص ٢١٨).

بينما كان الباحث فى بداية كلامه عن المنهج وآلية البحث بأن التحليل الجمالى للنص ضرورى، وغير كاف لمشروع النقد الثقافى ص ٣٧ فيما غفل المؤلف هذا الجانب تماماً وكأنه يتنكر لأدوات التحليل الجمالى، على حساب العناصر الثقافية المؤثرة فى رأى الكاتب.

أخطية

طبع هذا النص ، ووزع على الأقطار العربية كافة برعاية (م.ت.ف) وترجم إلى العبرية، والفرنسية، والألمانية، وروج له كثيراً ، واعتبر محجز هذا النص بمثابة مذكرات سياسية، ما أمكن الاحتفاء بها لو لم تكن لإميل حبيبي، وفى حديثه عن هذا النص، يذكر المؤلف بأن به ذكريات من أيام مضت، تقطعها استطرادات مملة، يتوخى المؤلف حبيبي من ورائها إطالة النص، ليقنعنا بأنه يكتب رواية، فأسلوب الاستنكار ورغم أنه مبرهن فنياً إلا أن الاختصار عليه يدل على سكونى الماضى، وعدم القدرة على تجاوزه، نحو اللحظة الحاضرة (ص ٢٥٣).

وهنا نلاحظ أن الباحث وفى عجالة، حلل هذا النص جمالياً، حيث أخذ على الراوى عدم تحميله لشخصه، فى نصه هذا ، لأى بنیان ثقافى لكى يتمكن من أن يديرهم ومن رؤيته الكلية، وممسكا بكلتا يديه، بسلطة السرد، وسلطة التفسير ص ٢٤٧.

وهنا على مدار ثماني عشرة صفحة، المساحة التى خصصها الباحث لتناول أخطية، وفق محجز فى تناول النص، سواء من الناحية الجمالية أو النقدية الثقافية فى حين أنه فى تناوله (للمتشائل) وعلى مدار خمس وخمسين صفحة، نرى أنه أرق نفسه فى رصد البنیان الثقافى للرواية، واعتبارها كتشفير ثقافى، بذل جهداً مضنياً لفك رموزه، متجاهلاً فى الوقت نفسه، أى إشارة، لأى تحليل جمالى، يمكن أن يحسب لإميل حبيبي، وإذا صادفه فى استعراضه أى سطوة جمالية، فإن محجز يبذل جهداً فى تزييفها من محتواها مشككاً فى براءتها.

نتائج البحث

خلص المؤلف إلى أن البنية الثقافية فى كتابة إميل حبيبي، بدت محكومة بأنساق

ثقافية على النحو التالي:

- ١ - نسق الحكمة الكلية، ولعل هذا ناتج عن عدة اعتبارات: مكانته المتقدمة في الحزب، وشهرته الأدبية، وشخصيته الكاريزمية، وأخيراً عضويته في الكنيسة الإسرائيلية.
- ٢ - نسق التأثير، لا نسق الإقناع.
- ٣ - نسق استخدام التراث، كخيار أسلوبى معاكساً لهويته.
- ٤ - النسق الشرقى في تناول قضايا المرأة
- ٥ - نسق التهوين المستمر من أمر المعاملة للعدو.

في الختام لابد من الاعتراف بالجهد المضمّن الذى بذله د. خضر محجز في دراسته هذه عن إميل حبيبي المثقف الفلسطيني بوصفه ابن شفا عمرو، وريّيب حيفا، والمثقف الإسرائيلي، بوصفه ملتزماً بالجنسية، والذى جمع بين المتناقضين بعد حصوله على «وسام القدس» من الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات، كما حصل على جائزة الإبداع الإسرائيلية.

كما لابد لي، أن أسجل شديد إعجابي، بخطوات الباحث الإجرائية، وبيانه لخطته، وتقسيمه لفصول كتابه، كما أنني لا أستطيع أن أغفل امتلاكه لناحية السرد، والتفسير، والتحليل، من خلال خطاب لقوى معبر ييسر المفاهيم، ويجعلها مؤهلة للتناول ومع ذلك فإن إميل حبيبي، الوهم والحقيقة مازال ماثلاً لدى بين الوهم والحقيقة، كنت أمل أن يدفعني هذا الكتاب إلى اعتبار إميل حبيبي، بوهماً، كما حرص محجز أن يصوره منذ البداية، أو يدفعني إلى اعتباره حقيقة، كما كره المؤلف لحبيبي أن يكون.

بين العقاد وأمين الخولى

د. ماهر شفيق فريد

من أكثر المساجلات الأدبية تشويقاً في عقد الستينيات من القرن الماضي المساجلة التي دارت بين عباس العقاد وأمين الخولى على صفحات الكتب والجرائد والمجلات. ومن المؤسف أنه لم يظهر حتى الآن مؤرخ أدبي جاد يتولى هذه المساجلة بالتقويم والتعليق. وكل ما رأيته عنها - وقد تكون هاتئني أشياء - فصل يحمل عنوان «أمين الخولى وبنات الباطل»، من كتاب عامر العقاد «العقاد: معاركه في السياسة والأدب» (دار الشهاب، د.ت.) ويبدى أن الكاتب قد انحاز إلى صف العقاد ولم يعد أن روي طرفاً من ردوده على الخولى.

وثمة مقالة عنوانها «كليلة ودمنة المصرية» (مجلة الجديد ١٥ يناير ١٩٧٣) بقلم عبد المنعم شemis وهو كاتب سطحى الفكر، ثقل الظل، حسب ظلماً على جماعة الأمناء لأنه كان يجلس في قسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة القاهرة من الخولى مجلس التلميذ - شأن مئات غيره - ولأنه كان يزوره ويخالط تلاميذه ومريديه. وقد شبه شemis المعركة بين الرجلين بمعركة أحمد أمين وزكى مبارك حول جنائية الأدب الجاهلى على الأدب العربى، ورأى أن هناك صفة تجمع بينهما - العقاد والخولى، فقد كان كلاهما يحمل رأساً أصلب من الصخر.

وتدل الشواهد على أن خصومة العقاد والخولى كانت أقدم عهداً من الستينيات بكثير.

ولا مفر من الاعتراف بأن الخولى كان اليادئ بالتحرش، ويبدو أنه بما طبع عليه من اعتداد بالذات ورغبة فى التبريز - قد غار من شهرة العقاد الذائعة ومكانته فى العالم العربى كله، على حين لا يكاد يعرف الخولى سوى تلامذته ومريديه. وفى مجلة الأدب، (مارس ١٩٦٠) - وهى المجلة التى كان يصدرها الخولى - ذكر أنه منذ أكثر من ربع قرن (أى حوالى عام ١٩٣٤) راعه جناية السياسة الحزبية على الحياة الأدبية، وجموع أعلام الكتاب (حتى ليصف العقاد الدكتور هيكى بأنه : الولد المسطول!) فكتب إلى العقاد رسالة هذا نصها:

إلى الأديب العقاد

سلام الله عليك ورحمته .. وبعد .. لعل كتابى هذا إليك نصيحة وأعطى أكثر مما هو نقد أديب، ولهذا لا يعينى قط أن تنشره بل أنا أعفيك من ذلك تماماً، إذا قرأته فى هدوء أو مع محاولة الهدوء. ذلك أن الأمر ليس بينى وبينك، ولكنه أمر جيل وشأن شبان.. فى الوقت الذى نرى فيه شباننا يعز بينهم التفاهم، ويعسر تناول النقد، فنصرخ فيهم: أن ذلك منهم ليس إلا جهلاً بالحرية، أو كراهية لها لأنهم لو كانوا أحراراً حقيقيين، أو طلاب حرية، عن رغبة صادقة لا عترفوا بوجود مخالفيتهم، واحترموا شعورهم، وفى الوقت الذى نحاول أن نحبيب فيه هؤلاء الشبان فى شيم العلماء من سعة الأفق، وحسن تقدير قواهم الإنسانية، والاستعداد الدائم لتقبل حقائق جديدة، وآراء مخالفة.. فى هذا الوقت نرى أحد حملة الأقلام الذى يطلعون على هذه الشبيبة، صباح مساء، بضروب من القول فى الاجتماع والسياسة.. نرى العقاد يرد أمس على منتقديه، فى مقالة، مناقشات فى النقد والأدب واللغة، فلا يكون رده إلا حثوا للتراب فى وجوه ناقديه، وغيظا يتوجب من كلماته وشططها عجا ينتهى به إلى أن يتحدى بوضع لفظ مكان لفظ فى البيت المتقود.. ويا عجباً يا أخى: لقد أبدلت فى القرآن كلمات بكلمات فى قراءات مختلفة، مع المحافظة على معناه، بل مع المحافظة على إعجاز.. ولا أقول لك:

إن العربية قد عرفت بسعتها وتقبلها لذلك الإبدال مع المحافظة على المعنى.. ولكنى أقول لك إن الله - مهما يكن رأيك فيه - قد تحدى بعشر سور، ولما تشدد تحدى بسورة من مثله، ولكنك أنت تتحدى بلفظة مكان لفظة.. فانت أكبر كثيراً من أن يقال لك «سبحانك».. كيف خانك قلمك حتى قذفت بهذه الدعوى الغريبة فى وجوه ناقديك، وماذا أنت فاعل إن دفعنى النصيح إلى أن أصارحك برأى نضر غير قليلين فى

شعرك، وهل أنت مبارزهم على هذا القول الجريء!

إنها - أصلحك الله - جناية السياسة علينا ، أفسدت ما أفسدت من أخلاقنا وكذلك فعلت بأقلامنا .. وإنه لمرض أتبينه في جميع الصحفيين الذين عانوا النقد والحكم، لأنهم حين يتناولون خصومهم تبيح لهم السياسة - قاتلها الله - كل قاتله، وما يعينهم إلا أن يحسنوا الاستهواء، ويستحلوا في سبيله كل محرّم..

وتدع الصحف اليومية إلى المجالات، بل إلى كبرياتها فتقرأ في المقتطف نقد الرافعي للعقاد، فإذا هو على هذا الحال من اللذع والتفريع، فأى سم هذا الذي تجرعونه شبابنا أيها الكهول.

تعالنت دموالك الجبروت .. لكن كتابي هذا إليك مسارة، لم أدفعه إلى نشر ولا أبقي به تشهيراً فلعلني .. وهذه ظروفى - أرى من حقد على، ومن واجبي أمام نفسى أن أذكرك بموقفك أمام القضاء، ذلك الموقف الذى كشف جبروتك كشفا لا انعته.. لأننى لا أستطيع أن أسبك.. ولأن هذا قد يكفى مثلك.

اتق الله فى جيلك، واكفف خطر طريقتك عن الشبان، وتلق ناقدك تلقيا أهذا من هذا وأدب.. وإن أبيت إلا أن تمضى فى طريقك، وراقك أن تقدم لى نصيبا من هذا الذى تقذف فلك ما تشاء، فإننى ساعة صممت على أن أكتب إليك، وطلنت نفسى على احتمال كل شيء، فى سبيل النهى عن المنكر، وأحللتك من كل ما فعلت والسلام عليك..، ولم يرد العقاد على رسالة الخولى - وقد كتبها إليه بصفة شخصية - وإن كان الخولى يقول: «وصح ما توقعت، واحتسبت عند الوطن الكثير الذى تطايرت إلى رشاشه من السب واللعن».

ثم أورد الخولى كلاما لتعزيز أباطة فى مدح العقاد مدحا مسرفا نشر بجريدة «الأخبار» فى ١٩٦٠/٢/٥ وكلاما لنفس الجريدة فى ١٩٦٠/٢/١٠ يقول «إن العقاد قرأ من الكتب العالمية مجموع ما قرأه كل أستاذ الأدب فى جامعاتنا.. لو وزعنا معلوماته على عشرة أساتذة لأصبح كل أستاذ منهم عالما..» وينعى الخولى - وهو محق - إرسال الكلام على عواهنه على هذا النحو الذى تسوده المبالغة، بل التهويل، ويعوزه الدقة، وتتجسم فيه مقارضة الثناء بل تبادل الاسراف.

لكن بداية المعركة السافرة بين الرجلين قد أذنت بها المقدمة التى كتبها الخولى عن أصول كتابة السير والتراجم لكتابه «مالك، تجارب حياة» (سلسلة أعلام العرب (١١)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ١٩٦٢). نقد الخولى

مفهوم «مفتاح الشخصية» في عبقریات العقاد، واعترض على تسميته بعض تراجمه
عبقرية، والبعض الآخر، في الميزان، مرتثيا أن الكل في الميزان بلا تفرقة، فالكمل ليسوا
إلا بشرا، وكتب في أحد الهوامش:

«من خفيف الملاحظة التي تغير صورة المترجم له تغييرا عنيفا، وتبين بها الحاجة
الشديدة لأصول التاريخية في رسم الصورة الأدبية أن عبقرية الإمام على للأستاذ
المقاد في طبعة الهلال تزين غلافها صورة فارس على جواده شاكي السلاح، وكأنها
خلاصة عمل الفن المنظور في تقديم صورة على «المقاتل» ولا يكاد يلمح أحد في هذا
إلا التجاوب العادي من الفن في عرض التاريخ لكن التاريخ ينكر هذه الصورة، إذ يعلن
حكم الرسول عليه السلام أن عليا راجلا من المشاه خير منه فارسا، ويروي ذلك في
حادثة كانت يوم بدر إذ قال علي للمقداد: أعطني فرسك أركبه فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم: «أنت تقا تل راجلا خير منه فارسا، فركب على الفرس، ووتر قوسه،
ورمى فأصاب إذن فرسه هو، فصرمه، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى أمسك
على فيه، فلما رأى على «ضحكه غضب» فسل سيفه ثم شد على المشركين فقتل ثمانية
قبل أن يرجع، فقال علي: لو أصابني شر من هذا كنت أهله، حين يقول أنت تقا تل
راجلا خير منك فارسا - أبو حيان، الامتاع والمؤانسة ج ٢ ص ٩٥ - فكلمة التاريخ أن عليا
ليس في خير حول فارسا؟ مصورة الخلاف ضد هذه الحقيقة واحترام التاريخ
يستبعداها».

وواضح ما في هذا الخول من تحامل، فالعقاد ليس مسئولا عن التصميم الفني
لخلاف كتابه (وقد صدرت منه ثلاث طبعات تخلو من هذه الصورة قبل الطبعة التي
يعلق عليها الخولي) وربما كان الفنان قد رسم الخلاف دون أن يقرأ من الكتاب سوى
عنوانه أو صفحات قليلة منه.

فتح الخولي على نفسه بهذه المقدمة أبواب الجحيم، فقد أصلاه العقاد - بعلمه
الغزير ومنطقه الصارم ولسانه اللاذع - نارا حامية في أربع مقالات متتابعة بجريدة
«الأخبار» جمعت فيما بعد في كتابه «يوميات» (الجزء الأول، دار المعارف، الطبعة الرابعة
١٩٨١).

في المقالة الأولى «دعوى في الميزان» (الأخبار ١٩٦٢/١٢/٥) كتب المقاد: «ما رأيت أحدا
يأخذ الشيخ أمين الخولي مأخذ الجد فيما يدعيه لنفسه وما يدعيه على غيره، بل ما
عرفت إنسانا يتعالم على الناس وهو أحوج منه إلى أن يتعلم ممن يتعلم عليهم، وليس

أضيق من كلام يذهب فى مناقشة صاحب دعوى يحسب أن اللياقة تسمح له أن يقدم كتابا فلا تكون مقدمته إلا عرضا رخيصا قصاراه أن يقول فيه: هذه هى الترجمة وإلا فلا.. فاقراونى ولا تقرأوا أحدا سواى..

وأضاف: ،فالحكاية، كلها جميعا، أن العباقرة ومن هم فى الميزان هم كلهم جميعا فى الميزان، نعم. ولكن التين هم فى الميزان ليسوا كلهم عباقرة أفهموم هذا؟..

وأورد العقاد ما يثبت شدة بأس على بن أى طالب راجلا وفارسا على السواء، إذ كان يقاتل فارسا فيقتل ثمانية فى كرة واحدة، وكانت وقائع صفين تشهد فروسيته وغلبته على أنداده، وكان السعدى - شاعر الفرس - يسميه فارسا وهو يركب الدلدل بغلته الموروثة، وقد ذكره حافظ إبراهيم فى العمريه فسماه فارس عدنان: ما كان غير أبى حفص يفوه بها أمام فارس عدنان وحاميهما وسخر العقاد من مظهر الخولى سخرية غير كريمة فقال:

لقد رأينا الشيخ بخمسة أزياء فى مدى شهرين اثنين: رأيناه يلبس الفيصلية والقميص المفتوح والسروال القصير، ورأيناه يلبس الجبة على «الياقة» المنشأة وفى يده أساور النشا بالأزوار الذهبية ، ورأيناه يلبس الجلاب البلدى والصندل فى قدميه، ورأيناه يلبس الجاكتة والبنطلون عارى الرأس أو لابس العمامة، ورأيناه ورأيناه ورآه مثلنا الطلاب والأساتذة فى الجامعة كما رأيناه..

فمن من هؤلاء هو «الخولى العلمى التاريخى الموضوعى»؟ ومن منهم يبيع التاريخ وضع صورته على غلاف ترجمته؟ ومن منهم تبطله كلمة التاريخ؟

وفى المقالة الثانية (عبث لا يسكت عليه، الأخبار ١٩/١٢/١٩٦٢) كتب العقاد: ،الحق أنه عبث لا يسكت عليه لأحد، ولا يسكت عليه - خاصة لإنسان لم يكتب صفحة إلا ليطأالم بها على الناس بدعوى التحقيق والتصحيح والفهم النافذ والعقل الرجيع، وليس يحتاج الناس إلى التحذير من أحد كما يحتاجون إلى التحذير من إنسان يتطاوّل ويتعالى باسم الأسانيد والمراجع وهو بهذه الجرأة على ما يجهل وبهذه الجرأة على ما يعلمه ثم يستطيل عليه بالتبديل والتحريف..

وفى المقالة الثالثة (الأخبار ٢٦/١٢/١٩٦٢) وصف الخولى بأنه، نطق دهرًا وسكت قهرا..

أما المقالة الرابعة (الأخبار ١/٢/١٩٦٣) فكان عنوانها ،المتهافت بأنفاسه.. وأذكر أنى زرت الأستاذ الخولى - وكنت من مريديه ومن كتاب مجلته ،الأدب - فى بيته

بشارع المعجم (اصبح اسمه الآن : شارع أمين الخولى) بمصر الجديدة فرايته مكفهر الوجه، مغبر الأسارير، متهيح الأعصاب بعد هذه السهام الجارحة التى رماه بها العقاد على صفحات جريدة من أذيع الجرائد اليومية وأكثرها انتشارا . وحاولت جهدى أن أخفف عنه فلم أقفلح، وماذا كان بمقدورى أن أفعل وقد كنت وقتها طالبا فى سنته الجامعية الثانية، لا يملك لأحد نفعا أو ضرا ؟ كل ما وسعنى أن كتبت كلمة قصيرة فى باب «يريد القراء» بجريدة «المساء» أناصر فيها الخولى على خصمه الجبار .

وقد رد الخولى على العقاد على صفحات «الأخبار» ولكن رده لم يحدث اشرا يذكر بالقياس إلى مقالات العقاد النارية، ثم خصص عدداً من المقالات فى مجلته «الأدب» لنقد العقاد تحت عناوين من قبيل: «العقاد بين الجرح والتعديل» «أدب البحث والمناظرة» «النقد فريضة والشباب وديعة» «وزن الرجال أمانة» «العقاد تجرحه السياسة» «العقاد يجرح نفسه» «حق الحق» .

وعمد الخولى بثقافته الفقهية وهو خريج مدرسة القضاء الشرعى - إلى تطبيق أصول الجرح والتعديل على العقاد ، مستعينا فى ذلك بأقوال المفكرين وفقهاء وعلماء كثيرين: الشهر ستانى، ابن فرحون، الفزائى، ابن الصلاح، السخاوى، الخطيب البغدادى، أحمد بن حنبل، ابن جماعة، القاضى عياض، الحافظ الرازى . ونمى العقاد فى عقيدته الدينية: «ينقل عنه غير واحد أنه يقول عن الألوهية المفضش البشع، الذى لا يستساغ نقله هنا . وشر ما يكون الأمر أن يتصدى للدفاع عن الإسلام والتعريف برجاله من له فى التدين هذه الحال» (مجلة «الأدب» فبراير ١٩٦٣) . ووصف الخولى مساجلته مع العقاد بأنها «مأساة لا معركة» (نفس العدد المذكور من المجلة) ولكن عبثا، فقد كان أسلوب الرد الذى اصطنعه هنا فقهيا عتيقا لا يتجاوب معه إلا قلة من العارفين بهذه الأمور .

وفى مجلة «الأدب» (مايو ١٩٦٣) كتب الخولى تحت عنوان «رسائل شفوية» فى صباح يوم الثلاثاء تاسع إبريل حديثى تليفونيا أحد الأبناء من خيرة شبابتنا .

وفى مساء اليوم نفسه شافهنى صديق من رجالاتنا، وقد ربطا طلبهما بما لهما على من حق الأبوة والأخوة وكريم الصداقة، لأقتنع معهما بالاكتماء بما كتب فى نقد السيد عباس العقاد فنزلت على رغبتهما فى ألا أكتب أنا شخصيا بعد ذلك فى نقده الإجمالى، أما النقد التفصيلى فلا يحول دون فريضته رجاء .. وأما غيرى فله حريته، والشاب المشار إليه هنا هو كاتب هذه السطور، أما رجل القضاء فلا أذكر الآن من هو،

وإن كان الخولى قد أخبرنى وقتها باسمه.

وتحت عنوان «وزن الرجال أمانة» (مجلة الأدب، مارس ١٩٦٣) نعى الخولى على أجهزة الدولة الثقافية منحها العقد جائزة الدولة التقديرية فى الأدب (هنا يفتقر موقف الخولى إلى الاقتناع، وتفوح رائحة غيرته الشخصية، إذ ما من عاقل ينكر أن طه حسين والعقاد هما أعظم أدبيين مصريين فى النصف الأول من القرن العشرين، وأنه ليس شمة من هو أجدر منهما بأرفع شارات التكريم وأعلى الجوائز) ويسمى الخولى من سجل العقد ما رآه صحائف غير مشرفة مثل مناداته بمحاربة العدو من الإنجليز ضد النازى أثناء الحرب العالمية الثانية، وضعفه فى موقف محاكمته أمام القضاء، وثناؤه على الملك فاروق شعرا ونثرا وتردده بين مختلف الأحزاب.

وحين توفى العقد كتب الخولى تحت عنوان «كلام بحسرة قائلين» (مجلة الأدب إبريل ١٩٦٤):

«رحمة للعقاد بين يدي مولا.. وأحوج منه إلى الرحمة من كتبوا عنه ما لايفيده.. بل يؤذيه لو اتصفوه.

والموضوع هو الكلمة التى قالتها الأخبار يوم ١٦ فبراير .. وهى طلب من العقد أن يترفق بالصراصير الصغيرة التى تدور حول حذائه، وفيها «إن فى حذاء العقد من العلم والمعرفة والثقافة أكثر ألف مرة مما فى عقول الصراصير التى تهاجمه اليوم، وهو كلام ليس أخص فى التعليق عليه من قول اهلنا إنه : «كلام بحسرة قائلين ولو ورت صاحب هذا الكلام حذاء العقد لتعلم منه ما يغنى عن التعليق على كلامه ويرد عقله إلى رأسه.

وإذا طلبت الرحمة للعقاد بين يدي ربه .. ورأيت أصحاب مثل هذا الكلام أحوج إلى الرحمة منه فإنى مع ذلك أطلب رحمة التاريخ للعقاد حتى لا تكون عملاقيته وعبقريته مقدرة بمثل موازين هؤلاء الذين يستطيعون أن يقولوا اليوم مثل هذا ...»
وتظل هذه المعركة (فهى معركة وليس مأساة كما ادعى الخولى) واحدة من علامات الطريق فى حياتنا الأدبية، وصفحة من التاريخ الأدبى ذات دلالة، شأنها فى ذلك شأن معارك أخرى خاضها طه حسين والرافعى وعلى عبد الرازق وزكى مبارك والمازنى وهيكى والزيات وإسماعيل مظهر وسلامة موسى وأحمد أمين وأبو شادى وسائر أولئك الفضول. كانوا رجالا بكل معانى هذه الكلمة، جديرين بالاحترام حتى فى لحظات جموح الأقلام بهم، واستبداد الأهواء (أى منا قد برئ منها؟) بما يسيطرونه على الطرس. لهذا يظفرون منا بالمحبة جميعا على اختلاف توجهاتهم، وتظل مساجلاتهم



- الغالب منهم والمغلوب - مصدر إلهام، ومنبع متعة عقلية ووجدانية، وباعتنا على التأمل وإعادة النظر والمراجعة.

بورتريه إبراهيم عبد المجيد

فريد أبو سعدة

الذين يملأون عيوننا لا نراهم !! لا بد من مسافة ما ليتمكن تأملهم باعتبارهم خارجاً، وهذا ما لا يمكن عمله مع إبراهيم عبد المجيد، إبراهيم من هذا الجيل، الذي خرج إلى الدنيا بعد أن حصدت بها الحرب الكونية الثانية، عاش حياة قاسية وغريبة في آن، هناك بالطبع ملامح مشتركة بين أبناء هذا الجيل وهناك أيضاً تجليات فردية، مثلاً سأفهم أن ينقل جمال الفيضاني كتب التراث في كراسات المدرسة بخط منمق، وأنقل أنا دواوين كاملة لم يكن في مقدوري شراءها، أما أن يعيد إبراهيم كتابة روايات كاملة، معدلاً في العناوين، فهذا أمر آخر يتجاوز الضائقة المالية إلى الرغبة في أن يكون خالقاً لهؤلاء الذين أحبه في روايات الآخرين. سيعيد كتابة (أنا الشعب) و يمنحها اسماً جديداً هو (شعاع الجلباب الأزرق) !! و يعيد كتابة (سلوى في مهب الريح) ، و يكتب مجموعة من القصص بعنوان (هذه القلوب) على غرار (هذه النفوس) للسباعي من هنا ستبدأ رحلة إبراهيم العجالية، رحلة إلى حيث الأحداث مقررة سلفاً !! و سيبدو كما لو كان بطلاً في تراجمينا من تراجميات القدر اليونانية. لابد أن هذه القراءة/ الكتابة قد فتحت عينيه على الحياة و الناس، و لابد أنه سيرى الحياة رواية هائلة، أكبر من تلك التي أعاد كتابتها، و سوف يتساءل بالتأكيد عن السبب في مضي الأشخاص و الوقائع على هذا النحو !!

سوف تخفيه الروايات في الواقع وفي الكتابة، على كتابة قصص من حياته الشخصية يجرب فيها أن يكون قادراً على توجيه الوقائع والأشخاص كما يفعل هذا القدر الخفي، الذي يجلس في مكان ما ويفعل هذا بالبشر!

(التحايل على المعاش) تعبیر مصري صميم، يعبر عن رغبة المصري وقدرته في نفس الوقت على مناورة الحياة والبقاء في أصعب الظروف بل وتحويل الألم ذاته إلى فن جميل ومتع سرية!

هذا هو إبراهيم، العاطفي شأن صغار التلاميذ في هذا الزمان الفاتية يكون مع بعض زملائه فرقة لإصطياد المحبين الصغار، يكتب لهم الرسائل الغرامية مقابل قرش أو نصف قرش حسب الحالة! مستخدماً في ذلك ما يحفظه من خاتمة رواية.

(إني راحلة) ثم ينهيون إلى السينما بما تجمع لهم من قروش.

ستصبح السينما مصدرًا من مصادر إبراهيم ومرجعاً لمعرفة كيف يكون رواياته جنباً إلى جنب مع هذه الأخلاط الغريبة من البشر: الفلول التي نزحت إلى الإسكندرية من الصعيد والدلتا تحت وطأة الفقر، بعضهم أصحاب عزّ زائل وبعضهم هارب من ثار أو طامح إلى حياة أفضل، مغامرون وأفاقون وأولاد عرب.

كان عليه أن يعاشرهم ويقترب من أهوالهم ورؤاهم، أحلامهم وكوابيسهم، أفراحهم وحزنانهم، هؤلاء هم الذين عمل معهم في صباه في السكك الحديدية، وشركة الأسمنت، والملاحات، والترسانة البحرية وغيرها من اشغال.

إدمان القراءة، والولع بالسينما، والعمل المبكر وسط هؤلاء ثلاثة مصادر لكتابة إبراهيم، مع ذلك كان يمكن أن تتحول الوقائع المدهشة والشخصيات الغريبة إلى روايات بالقوة يكتفي باستعادتها من حين إلى حين كما يفعل مع الأفلام، وكان يمكن أن يهدر هذا الفنى الباهظ في كتابات ربيبة عن الفقر والكفاح ولعن الزمان، كان يمكن أن يحدث هذا ولكن مصادفة تنقذ الفتى من هذا المصير، وتنقذ لنا هذا العالم الفريد فيظل أكثر خلوداً من أصحابه الذين يمضون إلى نهايتهم في صمت، ومن دون أن يعبأ بهم أحد.

كان الصبي، ابن الستة عشر عاماً، يهرول تحت المطر بحذاء مخروم ليصل إلى الصدفة الكبيرة في حياته، يصل إلى ندوة كان ضيفها الناقد الكبير محمد مندور، وكانت لحظة التنوير الأولى في حياة الصبي. اكتشف أن هناك ما ينبغي قراءته بجانب الروايات والقصص، هناك النقد الأدبي والفلسفة والتاريخ وعلم النفس.

في هذا النور الفامر فتحت له كتب مثل (الوان) لطف حسين و (بين الكتب والناس) للعقاد آفاقاً أوسع، وأشارت له و عليه بقراءة كتب أخرى لكتاب آخرين، فاندفع أخذاً نفسه بالشدّة في قراءات أكثر عمقاً وتنوعاً وتنظيماً، وصار له من الوعي ما جعله قادراً على فحص هذا العالم الذي اغترفه اغترافاً، بل وقادراً على استيعاب طرق أخرى غير الحكي البسيط، طرق يستطيع بها أن يخلص الواقعة من ضرورتها الغفل و يطلقها إلى الحرية حيث التأويل ممكن!

لم يكن هذا فقط دور الوعي، بل سيجعله (و هو الذي كان قد حصل على دبلوم صناعي و عمل به في الترسانة) يعيد النظر في حياته، فيدرس من جديد، و يحصل على الثانوية العامة، و يلتحق بالجامعة ليدرس الفلسفة. كانت هذه مرحلة أخرى أهم في التكوين العقلي والثقافي لإبراهيم عبد المجيد، إذ سيلتقي في الجامعة بمقول هائلة مثل د. أبو ريان، و د. عثمان أمين، و د. النشار، وغيرهم، و ستصيبه التحولات كما أصابت جيله فيتحوّل من الوجودية إلى الماركسية ثم يعاني بعد ذلك، كما عانى جيله، من التحولات التي أقصت الماركسية، أو كادت من الحياة!

ستظل النظرة الفلسفية مميزة في سرد إبراهيم. قد يكون مولعاً كالأخرين بالفريب والشاذ في حياة أبطاله، لكنه يضع هذا الغرائبي في إطار يرفعه من مجرد الرغبة في الإدهاش إلى علامة يمكن قراءتها مرة على أنها فانتازيا ومرة أخرى على أنها تراجيديا في تحولات المصير الإنساني.

وإبراهيم لا يقسم جسمه في رسوم كثيرة كما يقول عروة زعيم الصعاليك بل يقسم نفسه في نفوس كثيرة، وهو لا يطل على عالمه كما يفعل ألفريد هيتشكوك، بل كما يطل نجيب محفوظ بقناع كمال عبد الجواد. فإبراهيم هو "علي" في رواية المسافات و "إسماعيل" في البلدة الأخرى، و "كروان" في طيور العنبر، و "ناجي" في قناديل البحر. وكثيرة هي الشخصوس المجروحة التي تصادفها في قصصه القصيرة، النفوس المعطوبة والكليلة من جراء عبث مطلق يلهو بمصائرهما ولا تعرف لماذا ستتم هذه السمة لتصبح مدار رواية (البلدة الأخرى) ثم تستفحل فلا تخضع الأشخاص فقط بل تخضع أيضاً حياة الإسكندرية نفسها لتحولات تبدو عبثاً لا هدف من وراءه.

إن أبطال إبراهيم في رواياته يفادرون واقعيته كما يفادرون الحزنون قوقعته، يفعلون ذلك بنفس الرهافة والتوجس، ويتلقائية مدهشة، فلا نشمر أبداً أن الكاتب يريد أن

يقول لنا إنهم أكبر مما هم عليه، إنه فقط يدعنا نستنتج ذلك. ستجد "عيد" مجذوبا عاديا لكنه عبر تحولات بطيئة، غير ملحوظة تقريبا، يصبح صاحب "كشف" ويقود مجاذيب الإسكندرية، ليروا الله الذي يتجلى له فوق البحيرة أثناء الغروب. كذلك "الديب" الذي يظل معلقا طوال الوقت بين ظهر القطار والسماء، تمر به البلاد والأزمان، فإذا نزل راح يحكي قصصا خرافية. وحتى "حبشي" الذي لا يعرف من أين جاء ولا ما هو أصله والذي يتزوج من امرأة ظهرت واختفت فجأة، لا يعرف هو أو هي من أين جاءت أيضا، حبشي الذي يعيش على ما يسرقه من السفن ويربي لقطاع المدينة على ألا يسرقوا، ألا يمثل حالة فلسفية.

نحن إذن أمام شخصيات تغادر بنعومة واقعياتها الفوتوغرافية لتصبح علامات على عالم كلي، عالم مجروح بشكل ما ويتألم أو يحلم عبر هذه الشخصيات كما تفعل الريح إذا مرت بالبوص المثقوب كالنايات.

ظل إبراهيم وفيما لعالم الملاحم والأساطير اليونانية التي أُلح بها، وفيما للأفلام التي شكلت ذائقته البصرية، وعلمته كيف يجعل مشاهد حية ومؤثرة. وظل وفيما أكثر، وهذا هو المهم، للحياة الكثيفة التي عاشها فعلته كيف يضع الإيقاع في رواياته، حتى أنك ما إن تفتقد شخصا ما في رواية حتى تجده يطل عليك تماما كما لو كان هناك تخاطر بين القاريء وشخصه الأثيرية

لقد توقفت كشاعر عند الإيقاع في أعمال إبراهيم، إيقاع الخفاء والظهور، الحوان والسرد، الفوتوغرافي والفانتازي، الظاهر والباطن، الصعود والسقوط، الحلم والكابوس. وعلى أن أتوقف الآن.

إنه إبراهيم الذي يسرق منا وقتا ليضيف إلى ذاكرتنا أوقاتا، يمحو وقتا ميتا ليطرز قلوبنا بأوقات حية تظل تنبض في مخيلتنا كساعة رقمية في الليل ■

الشمس وحدها تقدر أن تقلد شمساً مثلها

فاطمة ناعوت

"الكلام على الكلام صعب" يقول أبو حيان التوحيدي، فماذا عن: الكتابة على الكتابة؟ أضلّتها مغامرة، لكنها المغامرة النبيلة التي تشحن عقل القارئ وتثقفه لتستحقه على الخوض مع الكاتب في "لعبة اختراق" عقل المبدع وتشريحه في محاولة لاستكشاف آلية عمل هذا العقل المختلف لحظة الانصهار والإبداع.

"لعبة الاختراق" هو كتاب صادر عن منشورات "أسرة الأدباء والكتاب" في البحرين لمؤلفه الكاتب والناقد عبد الله جناحي. وسرعان ما نكتشف أننا بصدد مائدة بحرينية إبداعية يتخلّق حولها أربعة من مبدعي البحرين المعاصرين. وأما بؤرة البحث فهي الكتابة، ثم الكتابة على الكتابة. يقوم المؤلف بفتح كوة في جدار قلعة إبداعية بحرينية سامقة قوامها شاعر كبير وسارد كبير، لكي يستشرف من خلال تلك الكوة بعض معالم هذا العالم الثرى الذي صنعه الصديقان بقلميهما. فأما الشاعر فقاسم حداد، وأما السارد فأمين صالح. وأما رابعة ثلاثتنا هؤلاء فالشاعرة البحرينية فوزية السندی التي كتبت مقدمة ضافية وعميقة تصنّرت الكتابة تناهض فيها النقد المنهجى الأكاديمي الصارم الذي يُفرّغ النصّ الإبداعي ويفرّغه ويفتت جوانحه بمباضعه الغليظة، وتنتصر، في المقابل، للنقد المحبّ الصديق الذي يخترق مكان النصّ بحنو ليضئ أركانه ودهاليزه ويفتح من ثم مخيال القارئ ليدخل عالم المبدع آمناً مطمئناً. تقول

السندی: "فی هذه الکتابة، لا یهمنا مدى اقتراب حبر عبد الله جناحی من شرفة الأسئلة الّتی انتزعتها إبداعات قاسم حداد من روحه، ولا مدى ممنوحاته الكشفیة لرؤی آمین صالح الجدیرة فی إبداعها، لكن لنا أن نرافق مجهوداته الحادة لحاذة عدة من النصوص، رافقها بوعی مخیلة تتأرجح بین المتحقق والمخیل، بین الصادر عن بثر الروح، والکامن فی ماوی الجسد." تصدّرت الغلاف منحوتة شدیدة التعبير عن متن الکتاب للفنان الکویتي سامی محمد عنوانها "اختراق". نستشف عبرها أنه لیس کلاً اختراقاً آمناً، فقد يتصدع الرأسُ بحاجز حدیدی يشجّه نصفین. وهنا مکمن جمیل من مکامن المغامرات النبيلة الّتی تحفّها المخاطر والمجازفة والرّهانات الّتی هی أول أسباب جمالها ونبلها.

یبدأ الکتاب بالإشارة إلی أوامر الصداقة الإنسانیة والإبداعیة الّتی تربط بین حداد وصالح، وذهب إلی أنه توحدًا روحیًا جمع بینهما فأنمر زخمًا إبداعیًا لافتًا فی هذه الجزيرة الخلیجیة الهادئة، البحرین. هنا الزخم الإبداعی المثنی تجلی فی کتاب "الجواشن" الّذی کتبه آمین صالح وقاسم حداد معاً عام ١٩٨٩، لیکون المجلی الإبداعی التطبیقی لمقترحهما الفنّی الّذی أعلناه فی بیانهما الأول "موت الکورس" الّذی أطلقاه عام ١٩٨٤ محاولین خلاله أن یحطما الفواصل الشفیفة بین الأجناس الإبداعیة طموحًا فی كتابة نصّ یحمل جینات الشعر والقصة والنثر والمسرح والتشکیل والسنیما والنحت والموسیقی فی آن. وهو المطمح الحلمی الّذی یرجوه کل مبدع وکل فنان ومن ثم کان انتظار القراء والمبدعین لهذا العمل بمثابة انتظار جودو الّذی أتى ولم یتأخر علیهم وكان "الجواشن". یقول عبد الله جناحی إنه حاول أن یفند الجواشن ویقرأه منفصلاً تبعًا لدرایتیه بأسلوبیة کل قلم من قلمی کاتبیه الشاعر والسارد، فکان کأنما یحاول تنسم الأكسجین فی معزل عن الهیدروجین ثم اکتشف فی الأخير أن الماء (الأكسجین + الهیدروجین) فی صورته الکاملة هو الأجمل، ویصف الکتاب بقوله: "إنه نصّ مفتوح احتضن فیهِ آمین قاسمًا وذاب قاسم مع آمین، لیتحول آمین حدادًا، ویصبح قاسم صالحًا".

ثم یتناول بالتحلیل الثنین من کتب آمین صالح هما: "ترنیمة للحجرة الکونیة"، و"مدائح" فیقول عن الأول إنه بمثابة نصّ ثری یتحضر کثیرا من عناصر الشعر لدرجة أن بعض فقراته موزونة علی التفعیلات الخلیلیة، كما تمّتلك الشیء الکثیر من الإیقاع الداخلی مثلما فی الشعر الحدیث. نصّ تخلّص من کل المتعارف علیه فی

القصة والرواية والشعر أيضاً، أحداث متفرعة، لكن مفصلة، وعن كتاب "مدائح" يقول: "في ذلك الديوان/ النص/ النثر الشعري حقق أمين صالح حلم النبع، حيث يأتي الكاتب من حدود الأشكال إلى حرية الكتابة نحو لذة المجازفة ونشوة الاكتشاف ليشهر جمالية المغامرة". ثم يحلل تيمتى الحلم والأنثى في المدائح، محاولاً قراءة النص بمستوياته: المقال الذي يتجلى في الكلمات المكتوبة ودلالاتها، والمسكوت عنه الصامت، الذي يُقرأ وتُحس دلالته فيما بين السطور والتحليل والكشف. علماً تلك الفضاءات البيضاء التي يتركها الكاتب للقارئ لكي يتورط في ملئها من لونه. ثم يتناول الكتاب ديوان "القيامة" لقاسم حداد، الذي قال حداد عنه: "تجربة "القيامة" طرحت على تجربتي أسئلة لا تحتمل جواباً ولا تريد ذلك، حيث مرايا الأعماق أكثر خطورة من الكشف عن مرايا الواقع". على أن جناحى سيقدم لنا قراءة فلسفية معرفية لغوية جمالية أكثر من كونها قراءة نقدية. وهو لون من القراءات الممتعة والمثيرة للقارئ. يستأنس أحياناً بدراسة شوقي بغدادى حول "القيامة"، ويعود بنا إلى العديد من المراجع الفلسفية، منذ طاليس وحتى هيدجر، واللغوية والميثولوجية والأنثروبولوجية والتاريخية، بل وإلى كتابات المتصوفة، ليرجع الدوال التي تكررت في الديوان، (مثل الماء والنار والحكم والفضة والعقل والقيامة) إلى أصولها المعرفية والفلسفية الأولى في محاولة للقبض على مدلولاتها ودلالاتها التي ربما يلمح إليها الشاعر. يتوسل الناقد في رحلته الوعرة تلك عدة مناهج نقدية منها الأسلوبية والتفكيكية والإحصائية أيضاً. ثم يحلل ويؤول، تاريخياً، ديوان "يمشى مخفوراً بالوعول" لقاسم حداد الذي نعتة جناحى بـ "شاعر الماء"، نظراً لتكرار مفردة الماء ودوالها في تجربته الشعرية. فحداد في هذا الديوان يقدم لنا قراءة "شاعر" لتراث أمته وتاريخها، التي بالضرورة تختلف كلياً عن قراءة المؤرخين والمفكرين والمحللين السياسيين. "يا وجعاً تراثياً" هكذا يقذف قاسم حداد في وجوهنا بأسئلته الوجودية والشعرية والسياسية حول أخطاء السلف ومواطن وجع التاريخ والتراث الذي أورثنا محننا الراهنة وهزائمنا. مثلما يقول: "وهذا الجُبا تاريخ، مدّ أعضائه في تراب بطيء، من برأ الذئب والجُبا أصدقاء مقصلة"، في إشارة مربة، من صاحب "كأس الأسئلة"، إلى خيانة الأشقاء كانهزام تاريخى أول قد يكون سبباً في تغيير وجه التاريخ. "أطويك يا ماء التراث مجللاً بدم الذبيحة والندور". ثم يعرج على "قبر قاسم" و"عزلة الملكات" و"مكابدات" و"جنة الأخطاء" وغيرها من دواوين حداد



التي شكلت علامات فارقة في واقع الحداثة الشعرية. ويختم كتابه بنصين لقاسم: بنات أوى، ثم قصيدة "القلعة": "أبني القلعة وحدي/ أشيدها حجراً حجراً/ واستنفرُ الجيوش لتبدأ الهجوم/ وحدي/ استعدي شهية القتال في شجاعة الأعداء/ أهين لهم كي يبدؤوا شحذ الأسلحة/ ويحسنوا التصويب/ أبعث بكتب التحديات/ وانتظر في القلعة وحدي/ كل موجة من الهجوم أسميها تفاحة الفواية/ أمقت الأسلحة/ لا أحسن الحرب وليس لدى جنود/ ولا سعاة/ وحدي/ كلما ارتدت هجمة/ أسعفت الجرحى ويمعث بالأسرى/ مدججين بالهدايا/ أرمم سور القلعة/ أدهنها وأزيئها بالقناديل/ كي ترشد الهجوم التالي/ فربما يحلو لهم أن يبتغوا في الليل/ فما أنا وحدي/ والقلعة صامدة".

السيطرة الصامتة

د. هشام قاسم

النمط الديمقراطي الليبرالي الأوربي ليس جنة موعودة يمسك بعضا سحرية قادرة على حل كل مشاكلنا، بل قد ينتج عنه مزيداً منها.

هذا ما تنبهنا إليه «نورينا هيرتس» في كتابها «السيطرة الصامتة» الذي صدر في إنجلترا في عام ٢٠٠٢ وقام صدقي خطاب بترجمته في سلسلة عالم المعرفة مؤخراً والمقصود بالسيطرة الصامتة سيطرة رأسمال على الحياة السياسية الديمقراطية في عصر العولمة وفي أوروبا وأمريكا خاصة، وما ترتب عن ذلك فقدان المواطن الغربي الثقة بها. من هنا جاء العنوان الفرعي للكتاب «الرأسمالية العالمية وموت الديمقراطية».

والكاتبة نورينا هيرتس من المحتجين على نظام العولمة الجديد الذي حاول أن يرسخ أقدامه من خلال اجتماعات منظمة التجارة العالمية وصندوق النقد الدولي وقوبل بمظاهرات ضخمة في سياتل عام ٢٠٠٠ وجوتنبيرج وجنوة عام ٢٠٠١ ثم في بوينس آيرس بالأرجنتين في ديسمبر عام ٢٠٠١ حيث تظاهر ما يزيد على مليون شخص أرجنتينيين. ونورينا هيرتس من مواليد لندن عام ١٩٦٧ نالت الدكتوراه من جامعة كمبريدج، ثم أصبحت منذ عام ٢٠٠٦ مديرة مشاركة في كلية جورج لإدارة الأعمال والاقتصاد بتلك الجامعة. لها عدة كتب أخرى تنتقد فيها المجتمع الرأسمالي منها

تهديد المديونية: كيف تدمر العالم النامي؟ وأنا مدين لك: تهديد الدين لماذا علينا أن نبطله؟.

لكن كيف يتمكن رأسمال المال من توجيه دفة الحكم نحو تحقيق مصالحهم؟ مشكلة الانتخابات في الدول الغربية أنها تحتاج إلى دعم مالى كبير يمكن المرشحين سواء لانتخابات الرئاسة أو التشريعية من الدعاية لأنفسهم، وفي هذا تذكر نورينا هيرتس: إن قدرة المرشحين على خوض الانتخابات الرئاسية تتوقف على تأمين تمويلهم من الشركات الرأسمالية الكبرى.. فمثلاً في انتخابات عام ٢٠٠٠ بلغت ميزانية جورج بوش ١٩١ مليون دولار، وميزانية آل جور المرشح الديمقراطى ١٣٣ مليون دولار، وانتخابات مجلس النواب ومجلس الشيوخ في عام ١٩٩٨ تزيد على بليون دولار أى سبعة أضعاف ما أنفق على انتخابات عام ١٩٧٩، ومعدل تكلفة الفرد لانتخابات مجلس الشيوخ ستة ملايين دولار. لذلك عندما تقدم ماكين فينجلد بمسودة مشروع قانون لإصلاح تمويل الانتخابات لمنع الشركات والنقابات والأفراد من تقديم إسهامات غير محددة من المال اليسير للأحزاب السياسية.. جاءت الاعتراضات من الحزبين الديمقراطى والجمهورى.

كذلك الحال في بريطانيا فحملة انتخابات عام ١٩٩٧ أغلقت الحملات حتى هذا التاريخ حيث أنفق حزب العمال ٢٧ مليون جنيه إسترليني، وأنفق حزب المحافظين ٢٨ مليون جنيه إسترليني.

لكن لماذا تحتاج الأحزاب السياسية في نظام ديمقراطى إلى أن تجمع مثل ذلك المال الوفير؟ تجيب نورينا هيرتس: لأن في حال غياب الفروق الأيديولوجية الواضحة بين الأحزاب.. فإنها تستطيع أن تتميز بشكل فعال في ضوء استراتيجية التسويق والإنفاق. فبالأمس كانت زيارة كل بيت في الحملة الانتخابية وتوزيع منشورات وعقد الاجتماعات المحلية كانت السياسة المتبعة حتى عهد قريب لذلك كانت التكلفة أقل والمعدات أبسط، ومقدار ما يبذل من جهد أكبر. أما سياسة اليوم تحاكى أساليب الشركات فهي مكلفة أشبه بالعمل التجارى وتحتاج إلى كميات كبيرة من المال، وتعتمد إلى حد كبير في الاتصال الجماهيرى على الإعلان في الصحف والمجلات والكوابل الأرضية وتليفزيونات الأقمار الصناعية التجارية ومواقع الإنترنت.

يأتى هذا الدعم المالى من الأثرياء والشركات أساساً وتبدل على ذلك بالدعاية

لانتخابات الكونجرس في ١٩٩٥ - ١٩٩٦ فإن ربع في المائة من السكان أعطى مائتي دولار أو أكثر، ولم يعط أحد من ٩٦٪ من الشعب الأمريكي شيئاً لأى سياسى أو حزب على المستوى الفيدرالى . وعلى الجانب الآخر أعطت أكبر ٥٠٠ شركة فى أمريكا ما يزيد على ٢٦٠ مليون دولار للديمقراطيين والجمهوريين ما بين العام ١٩٨٧ والعام ١٩٩٦ .

بالطبع هذا الدعم لن يكون لوجه الله فكما تقول نورينا فالشركات لا تعطى شيئاً فى مقابل لا شئ .. فالمال يشتري الفعل والتفوذ. ودلت على ذلك ببعض الأمثلة:

- تدعيم السيد برادلى عضو الكونجرس الأمريكى؛ مشروع قانون تهدف إلى خفض رسوم الجمارك وتقديم مساعدات لشركات كانت تنتج مواد كيميائية سامة جداً هذه الشركات كانت أكبر داعم لحملة الانتخابية عام ١٩٨٨ .

- أسهمت شركات التبغ من عام ١٩٨٧ حتى عام ١٩٩٦ بأكثر من ٣٠ مليوناً فى دعم أعضاء الكونجرس . فى المقابل كان إضافة جملة واحدة إلى قانون الضرائب الكبير من نائبى الجمهوريين ،ترنت، ونويت، تكفى لإعطاء ٥٠ بليوناً من الدولارات قروض ضرائب لها .

- عندما لم ينضم بيل جيتس إلى الحملة الانتخابية فى وقت مبكر كان تركيز الحكومة الأمريكية على احتكار ما يكروسوفت شديداً. ثم لما زاد إسهامها فى الحملات إلى ثلاثة أضعاف .. كما تضاعفت مصروفاتها لكسب أعضاء الهيئة التشريعية تخلت وزارة العدل عن سياسة تحطيم عملاق الحاسوب.

- إدخال بعض رجال الشركات إلى عالم السياسة فديك تشينى نائب الرئيس الأمريكى انتزع من شركة الخدمات النفطية هالبيرتون، وكارل روف وهو كبير استراتيجى فى إدارة بوش كان كبير الاستراتيجيين فى شركة هيليب مورييس من عام ١٩٩١ - ١٩٩٦ أما وزير الخزانة بول أونيل فقد جاء من كبرى شركات صناعة الألومونيوم الكوا .

- رفض جون ميجور عندما كان وزير مالية مشروع قانون يطالب الأجانب الذين يعملون فى التجارة فى بريطانيا بأن يدفعوا ضريبة على كسبهم .. لأن عددا ممن يشملهم القانون كانوا أسخياء لحزب المحافظين.

- تسلم حزب العمال قبل انتخابات ١٩٩٨ مليون جنيه من بيرنى إيلكستون الرجل الذى يقف وراء سباق السيارات المسمى النموذج الأول. فتخلى الحزب عن معارضته لرعاية شركات التبغ لذلك السباق.

تعلق نورينا على ذلك : إنه عالم يركع فيه ممثلونا المنتخبون أمام رجال المال والأعمال، ولا يتورعون الرقص لهم، على الرغم من أننا رأينا إمارات تأكل الضرائب في خدماتنا المتهاكة.

من هنا جاء تعليق الرئيس الأمريكي راذفورد هايس عام ١٨٧٦ على حكومته : إنها حكومة شركات تديرها شركات من أجل الشركات، وقد وصف ماثيو جوريفسون في دراسته عن بواكير الرأسمالية الأمريكية في كتابه المسمى «البارونات اللصوص» لقد حولت صالات التشريع إلى سوق تتم فيه المساومة على ثمن الأصوات. والقوانين تباع وتشتري.

قد انعكس هذا الوضع من تسلل نفوذ أصحاب المصالح على المجالس التشريعية ورجال الحكم على حياة المواطن البسيط.. وعلى حجم الفجوة ما بين الأغنياء والفقراء وقد دلت نورينا هيرتس على ذلك بالأرقام الآتية:

- في أمريكا ذهبت ٩٧٪ من الزيادة في الدخل القومي ذهبت لأغنى ٢٠٪ من العائلات خلال العشرين سنة الأخيرة. هناك نحو ٣٦ مليون أمريكي يعيشون حياة فقيرة. يمتلك أغنى ١٪، ٤٠٪ من ثروة البلاد مقارنة بـ ١٣٪ منذ نحو ٢٥ عاما. بينما بلغ معدل البطالة ٤،٥٪، ولا يستفيد من البطالة اليوم سوى ٣٩٪ من العاطلين بينما كانت النسبة في عام ١٩٨٦ ٧٠٪.

- في إنجلترا عندما تسلمت مارجريت زعيمة المحافظين عام ١٩٧٩ كان أغنى ٢٠٪ يتمتعون بنحو ٤٣٪ من إجمالي الناتج المحلي، وفي عام ١٩٩٦ صار ٣٪ يحوزون على ٥٠٪.

- في أمريكا انخفض راتب الطالب الذي يحمل الثانوية العامة وينخرط في العمل لأول مرة بـ ٢٨٪ عن عام ١٩٧٣ بقيمة بقيمة الدولار الشرائية، وكذلك أجور وعلاوات العمال غير المهرة.

- تقوم الشركات الرأسمالية بتخفيض العمالة لديها.. فمثلاً سرحت شركة IBM بين عامي ١٩٩١، ١٩٩٥ نحو ١٢٢ ألفاً من موظفيها وخفضت مجموع الأجور بمعدل الثلث وذلك في محاولة منها لزيادة أرباحها ورفع أسعار أسهمها.

- يوجد ٤٥ مليون أمريكي لا يتمتعون بالتأمين الصحي، و٢٥٪ من المصابين بأمراض مزمنة لا يحصلون على تغطية شاملة لأمراضهم المزمنة.

- التفاوض عن تحصيل الضرائب المستحقة على الشركات الرأسمالية. وتضرب نورينا أمثلة على ذلك. شركة روبرت ميرودك للأخبار تدفع ضرائب بمقدار ٦٪ عبر العالم كله لكنها ظلت حتى عام ١٩٩٨ لا تدفع شيئاً في المملكة المتحدة برغم أنها حققت أرباحاً منذ عام ١٩٨٧ تقدر بـ ١,٤ بليون جنيه استرليني.

وفي ألمانيا هبطت ضرائب الشركات بمعدل ٥٠٪ برغم أن أرباحها بمعدل ٩٠٪. والشركات التي تتبع الولايات المتحدة في البلاد النامية هبطت الضرائب عليها من ٥٤٪ إلى ٢٨٪ ما بين عامي ١٩٨٣ و١٩٩٦.

- أصبحت الاستهلاكية محل المواطن في زمن عدم الاكتراث السياسى والتحلل من الارتباط.

سيطرة رجال الأعمال على رجال السياسة، وتدهور الرفاهية الاقتصادية للمواطنين وازدياد معدل المظاهر القلقة لذلك والتي تهدد شرعية النظام الديمقراطي؛

- انخفاض نسبة المشاركين في الانتخابات العامة. فعلى سبيل المثال كانت نسبة المقترعين في الانتخابات التي جرت في بريطانيا لعام ١٩٩٠. ٤٩٪ وهي أدنى نسبة إقبال منذ الحرب العالمية الثانية. وفي أمريكا فإن نسبة الاقتراع ما بين عامي ١٩٩٦ و٢٠٠٢ لم تشهد لها مثيلاً في الانخفاض خلال قرنين.

- عدد أعضاء الأحزاب السياسية في ألمانيا وفرنسا والولايات المتحدة أقل منه الآن من أي وقت مضى منذ الحرب العالمية الثانية. فعلى سبيل المثال كان حزب العمال يضم في الخمسينيات نحو مليون عضو.. هبط العدد الآن إلى نحو ٣٦٠ ألف عضو. وهبط عدد أعضاء حزب المحافظين في نفس الفترة من ٢,٨ مليون إلى ما يقل عن نصف مليون عضو.

- فقدان الثقة في نواب البرلمان.. ففي استطلاع للرأي بالمملكة المتحدة هبطت نسبة من لهم ثقة في البرلمان من ٥٤٪ عام ١٩٨٣ إلى ١٠٪ عام ١٩٩٦. وفي الولايات المتحدة أظهر استطلاع أن ١٤٪ فقط اعتبروا معايير الأمانة والأخلاقية متوفرة بدرجة عالية عند أعضاء الكونجرس.

تنبع أهمية كتاب، السيطرة الصامتة، لنورينا هيرتمس أنه ينبها إلى المشاكل التي تواجه النظم الديمقراطية الليبرالية.. حتى لا يتحول الحلم عندنا بها عند تطبيقها إلى كابوس لا يحصل المواطن فيه على حقوقه بل ويتم انتهاكها.. طالما أن الأثرياء



يسيطرون نفوذهم عليها.. من هنا تنبع أهمية تقليص النفوذ الرأسمالي على الحياة السياسية حتى يجنى المواطن العادي ثمار نظامه الديمقراطي، وحتى لا يفقد الثقة فيه، ويتحول إلى عمل عدائي ضده في تنظيمات مسلحة إرهابية.

إذا كان هو هذا الحال في الدول الغربية التي في النهاية تجري انتخابات نظيفة.. فكيف يكون الحال عندنا الذي تجتمع فيه الأفئدة سيطرة رأسمال على الحكم بل وتسلب رموز كبيرة منهم إليه، ثم الانتخابات عندنا بعيدة كل البعد عن النظافة والنزاهة بالمرّة ١٩

وهج الدلالات فى ديوان «ظل العائلة» للشاعر عيد عبد الحليم

إيهاب خليفة

فى ديوانه الثانى «ظل العائلة» يعتمد الشاعر عيد عبد الحليم لغة شديدة الاختزال والتكثيف تقترب من المعاش اليومى حيناً، وتلامس فضاء الأخيلة الجديدة حيناً آخر. تمزج واقع الذات المشوه بأحلامها المبددة، والذات فى ظل العائلة ليست تلك الذات المندھشة التى تحيا حالة من التداعى الرومانسي، التى تحيا حالة لتتحسر، بل هى ذات نصف المشهد بحياد شديد، تتعامل مع جراحها بمبضع جراح خبير لا تفرعه صورة الفقر ولا الدم الحي.

ولنبداً من العنوان «ظل العائلة» حيث يجرننا هذا العنوان لدالتين الأولى هى صورة الظل المجردة الخالية من التفاصيل التى تشي بإطار عام فقط علاوة على حسن المهانة المرتبط بالظل حيث يولد غالب على الجدران أو يلتصق بالأرض فتدوسه الكائنات وهو ظل أحياناً يستطيل وأحياناً يقصر فلا يوازى أبداً صاحبه إلا فى أوقات محدودة مما يشي بأن الذات تقع بين أزميتين أزمة التضال وأزمة التناول إذن لا يوجد تقدير موضوعى للأمور ولا حياد. أما الدلالة الثانية فهى الناتجة من مقلوب العنوان (العائلة ظل) والمساواة التامة بينهما فى صورة جزئية هى التشبيه مما يدل على أن المشبه قد انحصر صورته تماماً وصار يحيا فى ظلامية مما يؤكد انسحاب حياة الذات الشاعرة أى الظل التام وانسحاب الرؤية الساطعة إلى الفراغ.

(بعد الحرب سنفكر فى أسمائنا التى لم تعد تنتمى للملابسا الجديدة، سوف نلقى بها فى يد عابر عجزوز).

تتميز نصوص ظل العائلة كما أسلفت بقدرة هائلة على التكثيف الدلائى شملت كل نصوص المجموعة، يقول الشاعر فى قصيدته نسيان متكرر

لم يكن الوقت مناسباً

حين أشعلوا الحرائق

بجوار النافذة

نجد هنا عنواناً مناقضاً للفحوى الحقيقية التى ينطوى عليها النص، إذ أن إشعال الحرائق جوار النافذة ليس منطقياً، ولكن لماذا يحدث؟

إنه فعل مقصود تماماً لتشويش الرؤية وإزاحة حالة التوحد بين الذات والعالم وإغلاق تلك الرؤية المفتوحة، مما يؤدى إلى عزل الحواس حاسة بعد أخرى، وأحداث قطعياً مع العالم، تأتى الحرائق بقصدية لهدر المدركات وإدخال الذات فى غبار لا تنتهى حتى إذا ما تحركت الذات من أجل التنوير تلقى الرفض والإزدراء.

(أزاحوا الغبار ثم بكوا حين شاهدوا الملائكة لبصق فى وجوههم)

فهنا أية محاولة لفتح مجال الرؤية تجرم من الغير، لماذا لأن الغبار صار مضاداً، فاية محاولة لكسره تدخل دائرة مفرغة.

وبالعودة لاستهلاك الديوان نجد ذلك التكثيف جلياً فى سيناريو قديم

الجنة هامة

فى أول المنزل

فمن الذى أشعل النسيان

على الحوائط

وترك دمي

بين أصابع الفائلة

هنا نجد جثة ممدودة دمها متروك (لم يزل بعد) بين أصابع العائلة (العائلة التى هى رمز مفتوح على حقول دلائية كثيرة، تشمل الأسرة، القبيلة/ حتى تطال الإنسانية كلها) فالعائلة هنا مناهضة للذات الشاعرة تقف ضدها وتضعها فى قهر السلطة، ولعلنا هنا أجد من الضروري أن هذه الجنة التى هى نفسها الذات الشاعرة الغارقة فى دمها هى التى بدأت حالة التذكر رغم كونها جثة ميتة، وكان

الشاعر بدأ الديوان من لحظته الختامية ثم بدأ باسترجاع ما تم، حتى أن النسيان قد أشعل هو الآخر بفعل تلقائي وكأن القصة يجب أن تحكى وتسمع، اشتعل النسيان لتولد الذاكرة المتشظية، في كل اتجاه. وعلى مدار الديوان نجد أن الزمن كله حاضر بلا انقطاع.

ومما عضد التكثيف الدلالى فى الديوان أدوات أخرى منها:-

(١) قوة المفارقة التى حفل بها كل مقطع فى قصائد الديوان

فمثلا فى قصيدة الجنة

أشياء تبدو سيلة للمرة الأولى

لكن حين تدفق فيها جيدا

نتركها وراء ظهرها

غيرنا ومين

هنا تفاجئنا النهاية (غير نادمين) التى تدعم اختبار الواقع - الذى فيه فعل الواقع القابل للتغيير، على الجنة التى تكون فيها الذات محضر متمم للمشهد.

(٢) استخدام الكلمات كرموز بعيدا عن معناها المعجمى الضيق مثل كلمة أشجار فى (ومضوا حاملين أشجارا كثيرة)

تحمل رائحة أخرى)

(٣) اعتماد المجاز بكل تقنياته وسيلة محمولات دلالية متجاوزة.

(كمهرج سيرسم المدينة فوق كفه

ثم ينام بين خطوط الأصابع)

فالذات هنا تحمل الأسى وتسد الآخرين، ترزخ فى تعاستها لتبهج المجموع، تبنى مدنا فضلات وتبيت هى فى الوهم والفراغ.

(٤) استخدام الضمير الجمعى (واو الجماعة تحديدا) غير دال على جماعة بعينهم ونزع الخصوصية منها كدليل على نفس الصورة المتوهمة للذات القومية.

وأخيرا إن ظل العائلة ديوان قد مر مرور الكرام فى وقت يحتفى فيه الحياة الثقافية بدواوين أقل قيمة وقدرا، ولكن لا دهشة فنحن فى عصر الشللية، الشللية التى تصوغ الدائقة العامة للنخبة المثقفة.

أمى

على عوض الله كرار

خط من صوف فى حركة دودية رتيبة يتجه لأعلى، وأمى على أريكتها متربعة، ومن تحت إبطيها تمتد لمعتان ممدنيتان يشتد ضوءهما فى نقطتين متوازيتين ومتغيرتين وفق تمايلات ذراعى أمى وكرة الصوف لا تستقر على حال فسوق بساط الارضية، ومستطيل النسيج الصوفى تحت يديها لم يفصح بعد عن كونه ظهراً أم صدرأ، على الأقل بالنسبة لى لا يفصح خط الصوف عن موضعه المنسوج إلا مع حنية مفصل الكتف، فتحة الصدر قد تتوازى مع الحنيتين وقد تسبقها بقليل، الظهر يستمر فى الطلوع دون أدنى تغير حتى حدة الإبط، ما بين يديها الآن هو ظهرى، لو كان الصدر لمرفته، فالصدر يتفتح مبكراً، لكن لم تلجله أمى الى ما بعد الانتهاء من ظهرى؟، لأن الظهر مجرد نسق من غرز تعيد نفسها بنفسها، سطرأ من بعد سطر؟، وكل ما تمنحه له أمى من فضل هو أنه افتتاحيتها السهلة البسيطة، أما الصدر، الوجهة، المرأة، فالأفكار ما بين حقيقتى وبينى، ثم بيننا وبين أمى، تتخاطب من حوله، بدءاً من اختيار نوع الفرزة وتقلباتها، وكيفية تبادل وتراتب الألوان، الى: من أين تبدأ فتحة الصدر؟، أمضموم طرفاه قليلاً أم مفتوح بشكل يبين القميص؟، المفتوح أكثر من اللازم قد ينبئ عن قلة دخلنا، لكنه أيضاً قد ينبئ عن صباى المتفتون. كما ان خالى

أهدانى قميصاً جديداً وأريد لأقرانى فى المدرسة والشارع ان يروه. سأذهب به مبكراً إلى المدرسة وألعب الكرة الشراب مع تلاميذها المبكرين فى الحضور. سأنزل معهم أسفلت الشارع المواجه لسور المدرسة بعد أن أرمى حقيبتى جانباً وأمسك (بلوفرى) من جانبيه : من طرفه المطاط، وأرفعه مقلوباً من على جسمى والقيه... وعينى على الكرة - فوق الحقيبة. سأحاول أن أقيه بطريقة تجعله حين يسقط على الحقيبة يسقط مفروداً. تخانة الحقيبة ستبرز مهارة أمى واقتنان الصبيان فيما إذا أحرز الأهداف هدفاً تلو هدف. هكذا سأفعل أيضاً يوم الجمعة تحت ابصار الشرفات سأكون مضطراً للعب وهو حول جذعى. وسأكون مضطراً أيضاً - كلما مسنى خصم - أن أقع على ظهرى. وسأكون مضطراً الى الاحتجاج: "هذه ليست طريقة تلعبون بها". بينما يدأى - وأنا انهض - تفكان البلوفر من حول جذعى وتطرقعه فى الهواء فيما عيناى تتجولان على عيون الشرفات لأرى مهارة أمى فى حقد النساء... لكن متى تبدأ فى عمل الصدر؟ . ومتى ينتهى؟.

كان بين يديها يتفتح وأنا لم أكن أدري أننى ارتفعت فى العاميين الفائتين بضعة سنتيمترات جعلتها تفك البلوفر القديم وتعيد شغلها من جديد بعد شراء شلة صوف إضافية، من لون مغاير، وغالباً ما ستصنع بخيوطه إفريز الصدر. استك الخصر زيتته ببضعة سطور شكلت شريطين متوازيين. كان الظهر منتفياً وطولى المفاجئ جعلنى أحسب تأخر ظهور فتحة الصدر راجعاً إلى أن ما بين يديها هو الظهر... خلتها - للحظات انتشرت خلال بضعة أيام - أنها ستجعل من ظهري منافساً قوياً لصدري الذى يتفتح الآن وينفتح للقميص الذى سينكتم صدره تحت شرفة غير تقليدية تطل منها ياقة مدببة الطرفين كسهمين طويلين يشيران على الخيط الذى كان متكوراً على نفسه ويات وأصبح ناقصاً سيبيت ويصبح متكوراً على جسمى راسماً لنفسه طولاً وعرضاً وحجماً وهيئة... لكن الياقة عريضة وطرفاها يمتدان لأسفل ويغطيان إفريز صدر البلوفر. سيبدو البلوفر هو عينه بلوفر الأعوام الثلاثة الفوائت. لكن الغرزة مختلفة وسيظن أصحابى أننى أميل إلى لون محدد بالذاته هو الأنسب للون بشرتى. لكن الإفريز سينطق صدري والبلوفر وهيئتى بالكامل، و سيأكل منها حبة. لأحبسن حواف الياقة تحت الإفريز. من حين لحين سأطلق سراحها، لا بأس... يكفى ظهور ثنية الياقة... ثنية ياقات القمصان فضيحة، والحمد لله قميصى جديد، أهداه لى خالى من

شهر مضى، من شهرين، بين شهر وشهرين، المهم أنا لم البسه. الصيف كان انتهى، وقمصانى النصف نصف اختبأت تحت سويتير (ووتر بروف) بسوستة.. قررت ارتدائه مع البلوفر.. صعب على تركه فى درج الدولاب حتى الصيف القادم. قررت مرة أخرى ويصوت عال أندھشت له أختى واستغريته أمى: " سأرتديه مع البلوفر ". ما هو؟ قلت لهما: " القميص الحديد الذى أهدانيه خالى ". وقلت لنفسى: " ارتدائه مع البلوفر الذى سيصنع لى طولاً وعرضاً وحجماً وهيئة حكاية ما بعدها حكاية ". لكن حكاية العام الفائت وبلوفره لم يعملأ حساباً لزحام البرد المندفع نحوى والمهاجم أعلى منتصف الصدر حتى الزور وأرقدنى مرتين تحت الأغطية مكشوها فى السرير، كل مرة بنحو أسبوع. وضاعت حلاوة الشتاء.. شتاء العام الماضى، على الرغم من ارتدائى البلوفر فوق جاكيت البيجامة الكستور وتحت البطانية الصوف واللحاف القطن. لذا، وعلى آخر لحظة قررت أمى شتاء هذا العام غلق صدرى، فأرسلت أختى لشراء شلة ثانية من لون البلوفر، ونهيتها، قطعت قطعة من خيط الصوف القديم ونهيتها أن لا تأخذ ما يعطيها الرجل وتمشى، عليها أن تستدير وترفع يديها لنورينا وتقارن ما بين لون قطعة الخيط الممسوكة بيد ولون الشلة المشتراه والممسوكة باليد الأخرى فإن.. " فإن شككت اسلتى دون أن يلحظ الرجل خيطاً من الشلة وأخرجيه قليلاً لنورينا وقارنيه بما فى يدك الأخرى ". دون معلم وكتاب مدرسى وآخر خارجى أمى تفهم فى باب الضوء من كتاب الفيزيكا المقرر على وأخشاء خشيتى من الكيمياء والميكانيكا والضراغية ورسومات الأحياء، وصارت أيضاً تفهم فى الاقتصاد، ما سوف تدفعه للطبيب والصيدلى تدفع لى هى عشرة وتشتري شلة أخرى إضافية وتفضل صدرى إلا قليلا. ولأننى أخشى من قلقها على وعليها فرحْتُ وأعلنت سرورى حين انتهى البلوفر ولبسته، أول ما لبسته - قدامها، ودورتنى وأوقفتنى لحظات، ثم دارت هى وجابهتنى ورفعت كل ذراع من ذراعى على حدة، ويرفق جذبت مكان التقاء حردة الكم بحردة الصدر عند الإبط ثم أنزلت الذراع وأعلنت من ابتسامتها، بينما أنا مع نفسى أقصر: حينما انعطف - صباح اليوم التالى - نحو الشارع الجانبى، ذاهباً الى المدرسة، أن أخلعه بكل حبور، وأضعه بكل أناقة على النصف السفلى من ساعدى الأيسر الملصق بأسفل صدرى وأكمل سيرى والطريق يمر من تحتى وقدمائى تتبادلان مطرجهما x

قصتان

طارق المهدوى

١ - الرحلة

قالها راكب الدراجة البخارية عند مدخل حي «عرب الجسر» الواقع شرق القاهرة وانطلق إلى حال سبيله، قال إن قطاراً حريباً قادماً من السويس قد اصطدم بحافلة رحلات مدرسية خلال عبورها مزلقان جسر السويس المجاور للحي، ولما كانت مدرسة «عرب الجسر الابتدائية» قد خرجت صباح اليوم في رحلة إلى الإسمايلية فقد هرع الجميع إلى المزلقان.

وسط الظلام الدامس وصلوا إلى ما كانت قبل ذلك حافلة وأصبحت الآن كتلة متعرجة من القطع الحديدية التي اخترقت بعضها بعضاً والتفت بعضها حول بعض، اطرقوا السمع بهدف التقاط الصرخات والأناث للمسارعة نحو مصدر الصوت غير عابئين بما تدوسه أقدامهم من جثث وقطع آدمية متناثرة فألحى أبقي من الميت. راح كل واحد منهم يحمل طفلاً مصاباً بين يديه ويهرع به إلى شارع جسر السويس عساه يجد هناك من يقله إلى المستشفى . ولما كانت الدموع تغطي عيونهم والدماء تغطي وجوه الأطفال المصابين لتخفى ملامحهم فقد ظن كل واحد منهم أنه يحمل ولده.

الحاج محمد كان يحمل أحدهم ويخاطبه بقوله:
«لازم تقوم وتميش يا أحمد يا ولدى علشان ترعى حنة الأرض اللى باقية لنا، وتطلع
محامى يا ولدى علشان تعرف تأخذ حق أبوك فى قضية التعويض عن بقية الأرض
اللى أخذتها الحكومة واللى بنجرى وراها فى المحاكم من زمن».

كذلك المقدس مرقص فقد كان يقول للطفل الذى يحمله بين يديه:
«إجمد آمال يا مينا يا بنى وشد حيلك» دى العيلة كلها حاطة أملها فى إنك راح تبقى
الدكتور مينا اللى حايعالج العيانيين بتوعها، ما هو على إيدك يا بنى موش عارفين
نعالج امك فى المستشفيات الحكومية».

أما الأستاذ نبيل فكان يقول للطفل الذى يحمله:
«شدة وتزول يا بطل وموش هاتضيع منى أبداً يا رفعت لأنك إنت اللى حاتكمل المشاور
ويمكن تعرف يا بطل تعمل اللى أنا ماقدرتش عليه وتعدل المايل فى البلاد وبين
العباد».

بمجرد أن انتهت عملية فرز ركام الموت المحيط بالمزلقان وثلمة الأجساد القليلة
الناضبة بالحياة لإرسالها إلى المستشفى تحرك أهالى عرب الجسر كل واحد بطريقته
إلى هناك، حيث كانت الإدارة قد فرضت حالة الطوارئ ولم تسمح للأهالى سوى
بدخول بنك الدم الذى منحوه كميات وفيرة من دمائهم لإنقاذ المصابين من الأبناء.
مع تباهير الفجر الأولى كان كل واحد منهم قد اتكأ على الآخر أخذين فى التطلع
نحو السماء وهم يدعون لانكشاف الغمة، عندما وصلت إلى محل جلوسهم فوق
الرصيف المواجه للمستشفى إحدى سيدات الحى، لتعلن أن جميع أطفال مدرسة عرب
الجسر الابتدائية قد عادوا إلى منازلهم سالمين، بعد أن وصلت الحافلة من الإسماعيلية
عبر أحد الطرق الالتفافية ودون أن تمر أصلاً على مزلقان جسر السويس. فى الوقت
ذاته كان مركز شرطة «ساقلة» بمحافظة سوهاج يتلقى بلاغات من الأهالى حول عدم
عودة أبنائهم الذى سبق أن خرجوا فى رحلة مدرسية لزيارة الإسماعيلية، وتدرجياً بدأ
أهالى «ساقلة» يتجمعون معاً حاملين أسلحتهم، وغيولهم تشى بما فى دواخلهم
المعمقة من ذعر كابوسى.

٢ - الغائب

زارها خراط البنات ليدفع بجسدها إلى مرحلة الأنوثة فيما بقيت أفكارها ومشاعرها على وضعها الطفولي لعدة أشهر قبل أن تبدأ الحركة في محاولة للحاق بالجسد، وذات يوم خلال هذه الأشهر كانت في طريق عودتها المعتاد من المدرسة عندما حاصرها ثلاثة أولاد غريباء في أحد الممرات الضيقة آخذين في مد أياديهم للإمساك بمختلف أجزاء جسدها الملفوف، وإزاء عجزها عن صدهم كاد الأمر أن يتطور لولا ظهور هذا الصبي، الذي سرعان ما أنزل حقيبته المدرسية عن يده وراح يشتبك مع الأولاد مستخدماً هنون القتال اليابانية حتى ابتعدوا عنها وهم يتوعدونه ويسبونونه باسمه، مما جعلها تعلم أنه «كمال» بعد أن كانت خلال الاشتباك قد لاحظت اسم مدرسته على شارة قميصه. وفي اليوم التالي ذهبت إلى مدرسته المجاورة وسألت الحراس عنه فأفادها أحدهم أن اسمه «كمال السيد عبد الرحمن دياب» وأنه بالصف الثالث الإعدادي أي يكبرها بعامين.

تعمدت السير ذهاباً وإياباً في الطريق المؤدى من وإلى مدرسته خلال مواعيد دخول وخروج التلاميذ فلم تلتق به، وقفت عدة مرات على باب مدرسته الأمامي كما وقفت مرات أخرى على بابها الخلفى لتشاهده أثناء الدخول أو الخروج دون جدوى، فسألت الحارس الذي أفادها غير عابئ بأنه قد انتقل إلى مدرسة أخرى مما يعنى رحيله مع أسرته خارج الحي الأمر الذي جعلها تبذل شريطى أسبرين في محاولة للانتحار لم تسفر سوى عن غسيل معدة في قسم السموم بالمستشفى وعلقة ساخنة من أبيها.

ظل «كمال السيد عبد الرحمن دياب» هو فتى أحلامها الغائب الذي تنتظر عودته ليلتقطها ويضعها فوق جواده الأبيض وينطلق بها إلى حيث يريد، حتى أنها كانت كلما تعثرت في أحد دروب الحياة المتعرجة أو تعرضت لمأزق من أى نوع تطلعت نحو السماء داعية كي يظهر فتاها الغائب لانتشالها ومساعدتها، بما في ذلك يوم خروجها لأول مرة بسيارتها الصغيرة التي كان أبوها قد اشتراها لها لتوه بمناسبة تخرجها من الجامعة، حيث صدمتها من الخلف سيارة مسرعة بينما كانت هي قد توقفت في إحدى إشارات المرور فسألت نفسها راجية «هل يمكن أن يظهر كمال الآن؟» لاسيما وقد خرج من السيارة الأخرى شاب رقيق يمسك بإحدى يديه الكتف العاري لفتاة ساقطة ويده الأخرى علية بيرة من النوع المستورد، وأخذ يسبها مستخدماً أسوأ ما في قاموس



الشتائم المتعلقة بها وبأبيها وبجميع الأحياء والأموات من أهلها، ولما حاولت أن تشرح له أنه المخطئ لأنه يقود سيارته وهو في حالة سكر امتدت يده ليصفعها على وجهها، وكانت الإشارة الخضراء قد أعلنت فتح الطريق فجذبتة الفتاة الساقطة داخل السيارة وهي تقول له «يا اللأ بينا بقى يا كوكو، موش عاوزين نضيع شوية الدماغ اللى إحنا عاملينهم مع الناس البيئة دى».

كم تمتنت ظهور الغالب كمال ولو لهذه المرة فقط، إلا أنها اضطرت في نهاية الأمر تحت وطأة ما واجهته من إهانة إلى الذهاب لقسم الشرطة حيث حررت محضر إتلاف وضرب وسب ضد المدعو كوكو، الذى سرعان ما تم القبض عليه استرشاداً برقم السيارة وبياناتها وشهادة الشهود حيث تم استيفاء المحضر ورفعها إلى النيابة ومنها إلى المحكمة. التى قضت بحبس المتهم سنة كاملة مع الشغل والفرامة وتعويض المجنى عليها مالياً عما ألحقه بسيارتها من إتلاف، وعما ألحقه بشخصها من أذى.

ذهبت لاستلام قيمة التعويض وهي تقسم أنها تكبدت أضعافها لإصلاح السيارة، فأفادها الموظف المسئول بضرورة توقيعها على قسيمة التوريدات التى كانت تتضمن رقم القضية ووصفها ونوع الحكم الصادر فيها واسم المحكوم عليه والذى كان واضحاً جلياً على صدر الورقة بكمال السيد عبد الرحمن دياب.

كانت المدد الزمنية المسموح بها قضائياً للتنازل والتصالح والاستئناف قد انقضت وبدأ المحكوم عليه ينفذ بالفعل مدة عقوبته في أحد السجون العمومية، فلم تجد ما تفعله سوى أن تبتلع مجدداً شريطى أسيرين في محاولة للانتحار لم تسفر سوى عن غسيل معدة في قسم السموم بالمستشفى وعلقة ساخنة أخرى من أبيها.

ثلاث مراهبا لامرأة واحدة

السيد السعداوي

مرأة (١)

ساكنة دائماً في حقيبة يدها بجوار المشط وأحمر الشفاه وقارورة العطر الفواح.. ترى فيها كيف تنضج الثمار.. طعم حلاوتها .. ومكان زهور الاشتهااء..
يطيب لها أن تميت بشعرها الأسود الفاحم الجميل.. تعاود النظر بزهو وابتسام إلى خدها الأبيض المشرب بالحمرة كزهرة التفاح.
تترك يديها الصغيرتين تنسلان بخفة إلى صدرها النافر تعبث بغزالين صغيرين ..
فينفران .. يجريان .. يلهثان فيقشش الوجه فيض من الأحمرار والخجل.

مرأة (٢)

في زمن الحصاد الجميل .. لما تنضج الثمار .. وتقطف الزهور .. ويهبط الحبيب من عليائه .. تمتلئ الحياة بالدفاء والشبع .. يولد الأطفال .. يكبر الأطفال عاودتها الهواية القديمة .. بطرف عينها نظرت إلى المرأة .. نصل سكين حاد.. اخترق القلب ..
عندما لمحت بعضاً من تجاعيد الوجه وترهل النهدين.



مرآة (٣)

حينما يوغل الزمن .. وتسرف الأيام فى مرارتها .. يزداد الوجع .. يصير الوجه غير الوجه .. الجسد غير الجسد .. أنفاس تنقطع .. صوت سعال مكتوم .. مختنق .. عيون يطيب لها الإيغال فى الماضى البعيد تفتش فى حدائقه .. فتتقى أجمل الوردات .. تبشم رائحتها وفوح بقها بمتعة فريدة .. فتكسو الوجه ابتسامة واهنة .. قبل أن يعاود السعال نوبته ..

حينما رأت المرأة على الطاولة .. أدارت ظهرها غير أنها تركت الدموع تنساب من عيناها حتى ذافت ملوحتها .

صاحبى القديم

عبدہ المصرى

إلى صديق العمر: نحاس راضى

الهم والصحية
المغنى فى المعتقل
والمعنى لما يدوب ف كف الأيد
ف بندقية بتصصى جنبى راكبه
نار
وف انتظار انتصار
باعة السماسرة لطايفة التجار
عشق الوطن عيله
عشق الوطن له
صاحبى القديم راح فىن
السر أوضح من كده يا أولاد
الحاوى لسه مافاتش فى الأعياد
الحاوى غاوى يلف غاوى يدور
ميت على سريريه.. والزيت ف
قنديله
خد منى واديله
حبه صباح الخير.. صباح الفل

بتحتاج ساعات لما تقعد لوحدهك
تفكر براحتك
ستين العذاب اللى فاتت
ستين العذاب اللى جايه
دمايك اللى سالت
دمايك اللى سايله
ونجمة ف بحر السما لسه واقفة
وكام نجمه سارية
وصوت الفنا لما يسحب ف روحك
يجدد جروحك
وتنزل دموعك على الخد جارية

• • •

صاحبى القديم راح فىن؟
سافر لشرق الشمس.. غرب
الليل
يفرق الأحلام ويجمعها
عشق الوطن من أول الصفحة

والحايى بات فى الحبل	عسكر امامى وورايا
ويعنى إيه تبقى لك الذكرى	وشوقى لا بل ريقى
ويعنى إيه تحب أو تكره	ولا ابتسامتى معايا
شارع جنينة الباهيا لسه طويل	والصبر طال يا صبايا
وع' الرصيف النخل قارد طوله	طب أعمل إيه يا رفيقى!!
مادد ذراعه القصير	شيل العطش من كلامى
ضلل علينا	شيل التراب من غنايا
الشمس دالقه هجير	وشق صدرى وهات
على سكة طالت كلها تعاتير	قلبي أغسله م الأهات
وحدك جنايتى المعرفة!!	ومن سواد السكات
شهيدى الحكمة!!	يرجع صغير بيحمل
غيرك كتير ماتوا على الأسلاك	بيبنت سكر نبات
ودابوا ف التفاصيل	عسل الشفايف ف ريقى
ف رغرات البصر	صاحبى القديم راح فين
ف رجرجات السلاليم	مشيت معاه من طريق
فى نهنيات البكا	وفارقتى نص الطريق
ف شاهد القبر النحاس	ماهيش إدانة وبراءة
ف بيت فى حى الحسين	ماهيش خداع أو حقيقة
صاحبى القديم راح فين	للإنسانية الصديقة
يسألنى سائل: صديقى	والإنسانية الرقيقة
- هل أنت شاعر حقيقى!! هل	بدمائى هوفنا الحقائق
أنت شاعر بجد؟	بترتعش م الزيف
- أنت مجرد مفتى بصوت	أكم فلان الفلانى وأصله واطى
محشر دميم	وحرامى
- بتغنى للصبح ف العتمة وفاكر	والإنسانية الرقيقة مش واخدة ع
أنك جميل	التكثيف
كل الاتصال دى فى دمايا	والبرتقان ف الجنائين ودع نسيم

الصيف

وطيف لطيف للشوارع

لصحاب قدام ف الميدان

عم الزبير سهران مع الصلبة

القهوة قارت والدموع ناصبه

يا فرغلى:

اديتى واحد حلبة وشاى خفيف

للضيف

قواشيط تمزع صمت ليل ميت

قواشيط بتضحك لما تفلت

م الخشب واليك

وعملك احمد حسن شرقاوى زى

زمان

بيخطط الجدران بكلمة حق

ويوزع الأحلام على الأيام

وشارع البحر يللى يصحى ينام

على صوت صحابنا القدام

بين الغنا والغنا

قواصل كلام

• • •

صاحبى القديم راح فين

هل كان حقيقى كل ما شفناه

وما عشناه

أكذوبة الثورة

عاشت مدى أجيال

مع كل حيض مايل وحيض بيميل

مع كل دمع يسح دم يسيل

مع كل طفل يخف طفل عليل

العله أوضح من قدرة العاشق

على التعليل

ماكانش فيه م الأصل غير عركة

على الثروة

كان دوش مصر جميل

ايه اللى غيرها ويدلها

ما بقاش هنا لا بحر

ولا شجر بيميل مع النسيم ع

النيل

مخلوط حابلها بنابلها

لا عرفنا أولها ولا جبننا آخرها

ونساهها ورجالها

تايهين ما بين ميانيتها ورمائها

صاحبى القديم راح فين؟

واصحابه فين؟

عنايات وزين وشفيق

وحلمى والشبه

وأحمد حسن ويشير

وجنيئة الأورمان وكسويرى

الجامعة

ووشوش اسامى كتير

م الذاكرة طالعين

وطابور طويل ممدود من قاعة

الاعتصام

نسجن القلعة

ومصر بتخطى الهزيمة اليتيمة



وفي الأغاني بتحتفل بالنصر
جيفارا أصلاً حر مات
وحمزة واخذع السكات
والإعلانات ملو الشوارع
والحارات
دولس وشيبس وخد وهات
يا طالعين جيل الموات
ده منطلق العصر الجديد
يا تميشوا في القفص الحديد
يا تموتوا في العهد السعيد
بكل أنواع العلل والسرطانات
صاحبى القديم راح فين ١٩

يمكن مانالش كل ما تمناه
يمكن ما عدش بيغكر فى اللي
يتمناه
وخطوتين للخلف
والف خلف وخلف
لقينا روحنا بعيد
الدنيا غير الدنيا والحلم غير
الحلم
صاحبى القديم بعد السنين
الشين
بيحب سيدنا النبى ويموت فى
سيدنا الحسين

عقارب الساعة

سالم أحمد عارف

اعتاد الشيخ الوقور في تجوله اليومي أن يرى الحديقة التي تقع على أطراف بلدته الصغيرة خالية من الناس لوعورة أرضها وبُعدها عن البلدة إلى جانب عدم تهيئتها للتنزه واللعب، وهي الحديقة التي شهدت على أرضها أيام صباه وشبابه عندما كانت عامرة ومهيأة للتنزه والمرح، إلا في ذلك اليوم عندما رأى مجموعة من الصبية يلعبون ويمرحون بها، وقد غطت سعادتهم ومرحهم على وعورة أرض الحديقة.

فتشرب الشيخ هذه الروح المرحية منهم وجلس على أريكة بالحديقة وجلس متأملاً الأولاد وهم يلعبون ويمرحون متذكراً أيام شبابه وصباه.

وهجأة التقى أحد الصبية بحجر نحو مكان ما في الحديقة مغطى بالأوراق فانبعث من هذا المكان أصوات نباح الكلاب الضالة وهي تجري مسرعة غاضبة نحو الصبية فأسرع الصبية جميعاً بالفرار والخروج من الحديقة إلا صبياً صغيراً لم يستمع مجاراتهم في الضار فكادت أنياب الكلاب أن تصل إليه وتفتك به لولا وقوعه فجأة في حفرة عميقة لحسن حفظه فياست الكلاب من أصطياده وعادت من حيث أتت.

وتأمل الشيخ كل هذه الأحداث في لحظات ثم أسرع محاولاً إنقاذ الصبي من الحفرة التي وقع فيها فرأى الصبي يثنى ركبته المصابة ولا يستطيع الحراك، فرأى الشيخ بعض ملابس الصبية التي تناسوها أثناء فرارهم وأحضر الشيخ بعض الملابس وصنع منها حبلأً مده للصبي الذي تعلق به حتى استطاع الخروج من الحفرة بصعوبة وبمجرد خروجه شكر الشيخ الوقور وقال له: (لولا شهامتك وحكمتك لما نجوت).

وتأمل الشيخ كلام الصبي للحظات ثم قال له: (نعم يا بني فبتزايد عمر الإنسان تزداد حكمته وعقارب الساعة دائماً تتقدم للأمام وتأتي بالجديد الذي يتعلمه الإنسان ولا ترجع للوراء أبداً).

ابتسم الصبي لكلام الشيخ متفهماً وقال له: (هذه حكمة مفيدة منك، وسأحرص على التعلم باستمرار في حياتي).

ثم تصافح الاثنان وتبادلا الحديث الشيق أثناء عودتهم وأصبحوا صديقين منذ ذلك الحين.



عمرى المقيد والطلاق

هانى ياسين

أخى يشاهد التلفاز أنا أقف فى لحظة الغروب الطائرة تكاد تدخل المنزل لكنى على يقين أنها سوف تعدل مسارها لا مصيبة أنها تقتحم المنزل اختبئ تحت الأريكة تبدو لى أنها سوف تخرج تصطدم بالحائط تنفجر تأخذنى شظاياها تصعد بى إلى السماء وأنا أنطق الشهادتين.

استيقظت أتذكر الحادى عشر من سبتمبر

أحكى لأمى تخبرنى أن الموت فى الحلم يعنى طول العمر إذن طيلة هذا العمر سوف أحبك أيتها الأكاديمية البريئة طيلة هذا العمر سوف استمتع برأسك أيتها المبدعة البريئة.

رسالة تضامن

استاذى الشاعر حلمى سالم - لعلك تذكرني، أو لا أنا تلميذك أحمد القشيري من مركز أبو قرقاص محافظة المنيا قد جئتكم لتقديم لى ديوانى الأول «أشياء مريميه، ولكم لإنشغالكم لم تستطع ذلك وكانت مقابلتك معى هى أفضل عندى وترحيبكم وثناءكم على أعمالى كان عندى أكبر من أى شىء وقد طلبتم منى عملا لتنشروه لى فى أدب وفقد الجميلة وظروف ما لم يتم النشر وبعدها قد أكرمنا القدر بالخبر الجميل وهو عودة إبداع للظهور مرة أخرى وإن لم تكتمل فرحتنا كالعادة إلا وفوجئنا بالمتريصين من الشللية والمرتزقة يزعمون وينبجون بوقف إبداعنا مرة أخرى فتم إيقافها وما أن سألنا عن السبب حتى عرفنا أن هؤلاء لم ولن يفهموا ما تصبون إليه من لغتكم المغايرة للمساءد والمألوف فأرادوا مأساة أخرى لحلاج آخر يكون هذه المرة هو أنت، وكان لسان حالهم يقول يا أصحاب الأحوال والمقامات والقامات أيضا لا تطاولوا فهمها كبير ثم فنحن لرقبيكم بالمرصاد ولن نتجاوزوا بكتاباتكم أدرج مكاتبتكم ولربما فتشنا فى أدرجكم ومزقنا إبداعكم وفكركم فلا يتجاوز عقولكم، ولربما حططنا رؤوسكم وأخرجنا أفكاركم وأهرقنا دما على قارعة طريق الجهل وثقافة (بحبك يا حمار) التى تملأ أذاننا شلنا أم أبينا.

هذا ما دار فى خلدى فور سماع هذا النبأ المؤلم المشين لثقافتنا العريقة التى نتغنى بها ليل نهار وإننى ومع صغرها متى فى كتابة الشعر فىنى تضامن معك أيا ما كان مقصدك من بعض الكلمات التى لا يفهمها هؤلاء المنصبون أنفسهم رقباء فأنت حر تعتقد ما تشاء وتؤول ما تشاء وتفكر كيفما تشاء على الرغم من أن قصيدتكم قد قرأتها فيها من التنزيه للذات الألهية عن العبث والظلم والجور - هى فقط طرح أو إعادة طرح وتعريف للواقع المؤلم الذى نحياه.

أحمد القشيري

المنيا - أبو قرقاص

رقص العصافير

عندما أسمع صوتك
أسمع دقات قلبي
وحينما أراك أمامي
أرى الطير يهتف علي
هل أراك مرة أخرى؟
إننى لا أصدق نفسي
عندما أراك وأسمع صوتك
تشجيني بأحلى النغمات
كأننى طفل صغير
أرقص كرقص العصافير
حينما تطير فى السماء
وتغرد بصوتها الحانها
التي تلاحقنى وأنا معك
أريد أن أعيش معك لحظة
وتتشابك وتتداعب الأيدي
ونعيش أحلى الأوقات
وبابتسامتى وابتسامتك
نكون أجمل الابتسامات
وأطير كمثل العصافير
وأغرد بأجمل النغمات

نهلة عزت

بالشقلب

قمت منزعجا من النوم رايت شخصاً جالساً امامى قبل ان اتكلم نظرت إلى وجهه نفس الشخص الذى جاءنى فى المنام وصرخ فى بأن أقوم من النوم قلت له من انت قال إنه ضميرى !!!

فدت بأنه يقول ضميرى ولحظت أنه يقولها بحزن قلت له الضمير يفترض أن يكون شبه لصاحبه وأنت لست شبهى ولماذا علامات الحزن على وجهك.

رد على بأن الضمائر تغيرت أصبحت شيئاً آخر مثل أى شيء تغير وتظنه الناس الشيء الصحيح وإذا فعلت امامهم الشيء الصحيح نكروها عليك كأنك أنت المخطئ وهم المصححون.

وعلامه الحزن على وجهك بسبب الضمائر تريد أن تعود كما هى شبه لصاحبها قلت له ما الحل يا ضميرى.

قال يجب إن تعود الأشياء إلى طبيعتها.

قلت له ممكن تعطنى امثلة وافق على الفور قال سننزل للشارع لكى ترى بعينيك مشيت معه قال لى أنظر.

لقيت بنات يعاكسون الشباب ويصفرون لهم ويمدحون ملابسهم وجمالهم فدهشت مع أننى أرى هذه الأشياء وقال أنظر لقيت شباب يدخنون البانجو فى شارع جانبي قال لى البقية تأتي.

ذهبت معه إلى (غرزة) جلست قال اتعلم من هذا أنه مسئول كبير يدخن معهم. قلت له كفى هذه الصور قال اتعبت قلت لا ولكن كفى قال إذا صبرت سترى أكثر قلت قبل أن أرى ماذا سنفعل حتى نعيد ضحكك وشكلك الطبيعى

قال يجب إن تحاول بتغيير هذه الأشياء كما كانت وسأعود إليك بعد شهر يا صديقي وأيته اختفى من امامى جلست مع نفسى قررت أن أعيد الشيء الصحيح إلى مكانه مشيت فى الشارع لقيت بنات يعاكسون الشباب دخلت عليهم ونصحتهم ولكنهم تجاهلوني صرخت فيهم تجمع الشباب الذين كانوا يعاكسونهم قالت البنات إنه يعاكسنا أخذونى إلى القسم اليوم التالى جاء والدى ليخرجنى مشيت لقيت شباب يدخنون البانجو دخلت عليهم أنصحبهم بأن هذا الشيء حرام، ولكنهم ضربونى



انسكرت قدمي اليمنى جلست في البيت ١٤ يوما ثم خرجت إلى الشارع ذهبت إلى (الغرة) لقيت المسئول جريت إلى القسم أبلغ ولما وجدوا المسئول هناك لم يأخذوا أحد بل أخذوني أنا قضيت ١٠ أيام في السجن بعد أن سامحنى المسئول مشيت في الشارع كان تبقى ٥ أيام.

لقيت في الشارع رجل مصاب والناس واقفة لم تفعل شيء حملته في تاكسي وذهبت إلى المستشفى ولكنه قد فارق الحياة.

أسئلة من الشرطة إلى على معرفتي به أكدت لهم أنني لا أعرفه قضيت بسببه أيام في السجن إلى أن تأكدوا من براءتي.

خرجت وأنا نادم أنني كنت أنقذه.

لقيت ضميمري في وجهي قال لي ٣٧ يوما يا صديقي

ذهبت إليه ولم أتكلم مشينا ونحن نمشي كانت سيارة تمشي بسرعة خبطت ضميمري وقع على الأرض والدم يسيل منه نظر إلى ويتسم ومات.

محمد نبيل

كل من في حماك

عمر بن الفارض



وتحكّم فالحسن قد أعطاك
فعلّ الجمل قد ولّاك
بك عجل به جعلت فداك
فاختياري ما كان فيه رضاك
بنّ أولى إذ لم أكن لولاك
في سبيل الهوى استلذ الهلاك
لو تخليت عنه ما خلاك
واشاعوا أنّ سلوت هواك
عنك يوماً دع يهجرُوا حاشاك
ح بريق تلفّت للقائك
أنا وحدي بكل من في حماك
وجميع الملاح تحت لواقك

ته دلالاً فأنت أهل لذاك
ولك الأمر فاقض ما أنت قاض
وتلافى إن كان فيه التلافى
وبما شئت في هواك اختبرني
فعلّ كل حالة أنت مني
لك في الحى هالك بك حرق
عبد رِق ما رِق يوماً لعنت
شنع المرجفون عنك بهجرى
ما بأحشائهم عشقت فأسلو
كيف أسلو ومقلتي كلما لا
كلّ من في حماك يهواك لكن
يُحشر العاشقون تحت لوائك



إسراء أشرف



محمد حسام



ليلى خالد حريب



أوزريس
حسانين



مريم عبد الستار
حنينه